دور المرجعية الدينية الشيعية في مقاومة الاستعمارفي البلاد العربية والاسلامية ١٣٢٩- ١٣٣٤هـ /١٩١١—١٩١٥م(ليبيا-ايران–العراق)انموذجا"

ا.م.د. عمار محمد كاظم فرج/ كلية التربية للبنات / جامعة البصرة

م.د.علي جودة صبيح المالكي/مركزدراسات البصرة والخليج العربي/جامعة البصرة

المقدمة:

ان التاريخ الجهادي للمرجعية للدينية حافل ومليء بالاحداث الملتهبة التي لايمكن اختصارها في كتاب أو كتابين ،بل يمكن القول : ان تاريخ المسلمين – خصوصا"الحديثرهين لتاريخ النضال الدامي الذي قام به وقاده علماء الدين المجاهدين. وفي حقبة من هذا النضال،حقبة بالغة الحساسية في تاريخ المسلمين لاسيما في العراق وايران،كان لعلماء الدين دورهم المتميز خصوصا" خلال الحقبة الممتدةمن ثورة التنباك في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي وحتى ثورة العشرين في اواخر العقد الثاني من القرن العشرين.بين الشيرازي محمد حسن الكبير والشيرازي محمد تقي، ومابين هاتين الثورتين تعقيدات ونضال متراكم لاحد له، فقضية الحركة الدستورية في ايران كانت مخاضا" غير وجه الحياة الايرانية عموما"، وثورة العشرين في العراق تركت بصماتها على مستقبل الشعب العراقي برمته.بيد ان هناك الكثير من المواقف والرؤى والتحليلات حول ادوار علماء الدين في الحياة السياسية والنضالية، كما وهناك الكثير من التشويه والبخس لبعضهم على الاقل.

ان دراسة موضوع دور المرجعية الدينية عموما ،والمرجعية الشيعية بالذات لابد وان تقودنا الى معرفة معالمها واسسها،فضلا عن تأكيد مشروعيتها واهميتها في حياة

الامة والمجتمع لما تمثله من ضرورات اجتماعية ودينية واخلاقية فضلا عن الجوانب التي تهم شؤون الامة في مجالات السياسة والاقتصاد وغيرها، على ان كل مايتعلق بالاسس التي يعتمد عليها نهج المرجعية كان له اثر ذلك رسم معالم الحياة العامة للامة الاسلامية عموما، والشيعية منها بوجه خاص.من خلال الادوار التي لعبتها المرجعية في القضايا السياسية والاجتماعية ،ليس في العراق وحده،فحسب، وانما تعدى ذلك الى اطار اشمل واعم تمثل في دعم حركات التحرر الاسلامي ضد الاستعمار والاستبداد بكافة اشكاله .وخصوصا في ايران والدولة العثمانية..

ومن اجل دراسة الموقف الشيعي من الظاهرة الاستعمارية، وهو الموقف الذي أخذ انماطا" عديدة من المواجهة والفعل التاريخي، لكنها كانت تتجمع في مواجهة الهجمة الاستعمارية ، والسعي هدف واحد هو لتحقيق استقلال البلاد الاسلامية،كان هذا البحث الموسوم" دور المرجعية الدينية الشيعية في مقاومة الاستعمارفي البلاد العربية والاسلامية-١٣٢٩-١٣٣٤هـ/١٩١١ــــ١٩١٥م(ليبيا-ايران–العراق)انموذجا"،محاولة لاكتشاف أو الية التحولات التي عصفت بأيران وبلاد الرافدين في تلك الفترة الحساسة، وتسليط الضوء على المواقف العلمائية في مقاومة الاستعمار ومشاريعه خلال السنوات الحساسة من حقبة التحدي الاستعماري خلال العقدين الأولين من القرن العشرين

تكون البحث من مقدمة ومبحثين اضافة الى خاتمة لاهم الاستنتاجات التي توصل اليها الباحثان. وكان المبحث الاول منهما (الموقف الشيعي من النشاط الاستعماري(١٣٢٩-١٣٣٠هـ / ١٩١١-١٩١٢م)،بينما جاء المبحث الثاني بعنوان(النشاط الشيعي المسلح خلال الحرب العالمية الاولى وحتى العام ١٣٣٤/١٩١٥).

واخيرا وليس اخر فان هذا البحث المتواضع هو محاولة خجولة لتلمس الدور الكبير والمهم للمرجعية الدينية الشيعية في قضايا الامة الاسلامية... ولاندعي الكمال في ذلك، فهو للّه وحده جلت قدرته...نسأله التوفيق والسداد انه سميع مجيب.

المبحث الاول

الموقف الشيعي من النشاط الاستعماري

(١٣٢٩-١٣٣٠هـ/ ١٩١١-١٩١٢م)

كان القرن التاسع عشر يشير بوضوح إلى أن الدولة العثمانية لم تعد قادرة على البقاء . فلقد استفرغ الانهيار الداخلي مقوماتها الأساسية كدولة تستطيع مواجهة التحديات الطموحة للدول الأوربية ، و التي كانت رغم اختلافاتها في المصالح السياسية ، تتفق في عدائها التقليدي لدول إسلامية شاسعة الجغرافيا بضمنها أجزاء مسيحية . ولقد كان لهذا العامل أهميته في تقريب وجهات النظر الأوربية فيما بعد ، بحيث دفعها إلى البحث عن سبل تجزئة الأقاليم العثمانية على أساس مبدأ الضم الحضاري ، واستيعاب العالم الإسلامي كله بمحاولات مفردة لكنها متكررة . غير أن المصالح الاستعمارية المعقدة وتقاطعها الحاد ، أدى في فترات عديدة إلى بروز الاختلاف الأوربي بأشكال عنيفة ، بحيث كانت بعض الدول الأوربية تلجأ إلى مساندة العثمانيين ، لئلا يستأثر بالمكسب أحد الأطراف الأوربية وحده دون سواه ، فتختل بذلك معادلة التوازن الحذرة القائمة آنذاك بين مجتمع الدول الغربية . فمثلا كان لبريطانية نشاطها الملموس في عرقلة البقاء الفرنسي في مصر أواخر القرن الثامن عشر ، وقد دفعها التنافس إلى القيام بهجوم بحري سريع على الأسطول الفرنسي المرابط على الشواطئ المصرية ، ثم شجعت الدولة العثمانية على مواصلة الدفاع ، وقد قدمت له مساعداتها في هذا الاتجاه حتى اضطر الفرنسيون الى الجلاء عن

مصر بصورة نهائية[١] . وكادت التجربة نفسها تتكرر عندما احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠م ، حيث واجهت بريطانيا الخطوة الفرنسية بالاعتراض وأعربت عن موقفها بأنها تنظر الى احتلال الجزائر على أنه أمر مؤقت .ولم تقرر الاعتراف به الأ عام ١٨٣٧م[٢]، حين حصلت على مكاسب مرضية. وعندما نشبت حرب القرم بين روسيا و الدولة العثمانية عام ١٨٥٣م ، وكانت روسيا تطمع في تحقيق نصر حاسم على العثمانيين ، عمدت بريطانيا و فرنسا الى دخول الحرب في) السنة التالية الى جانب الدولة العثمانية . وبعد ثلاث سنوات من بداية الحرب تم تحقيق النصر على روسيا ، لكنه كان باهظ الثمن ، جعل الكثير من البريطانيين و الفرنسيين يتساءلون بندم : ماذا جنينا من هذه الحرب ؟[٣] .

لم يكن الاندفاع الغربي في مساندة الدولة العثمانية في حالات كهذه يقتصر على الوسط السياسي الأوربي ، إنما كان يمثل مبدأ سياسيا سائدا خلال تلك الفترة ، طالما أن الاتفاق النهائي لم يحصل بشأن مستقبل البلاد العثمانية . فعندما حدثت الازمة بين محمد علي باشا والي مصر و السلطان العثماني ، أعلن محمد علي حربه في عام ١٨٣٢م وتقدمت جيوشه فاحتلت الشام ، ثم واصلت زحفها باتجاه الشمال مقتربة من إسطنبول . وقد أثار هذا التطور العسكري الدول الأوربية التي سارعت الى التدخل فمارست نشاطا دبلوماسيا مكثفا اسفر عن توقيع الصلح بين الطرفين المتحاربين .اذ تصورت الدول الأوربية ان الجيش المصري سيدخل إسطنبول ،وفي هذه الحالة ستتحول السلطنة الى محمد علي باشا ، وتنتهي بذلك مشاريعها الاستعمارية في تقسيم البلاد العثمانية . وهذا ما اوضحه صراحة وزير الخارجية البريطاني ، إذ كتب يقول : "إن هدف محمد علي الحقيقي هو إقامة مملكة عربية تضم جميع

البلاد يتحدث أهلها باللغة العربية . وقد يكون هذا الامر في ذاته لا ضرر منه ، ولكنه يرمي الى تقطيع اوصال تركيا ، وهو ما لا نرضى عنه أبدا "(٤) .

أدركت الدول الغربية أن من الممكن الخروج من مأزق التنافس الحاد فيما بينها ، عن طريق المعاهدات التي تمكنها من قضم أطراف الدول العثمانية من قبل الجماعة الاستعمارية . وقد تم الاتفاق على هذه الصيغة الاستعمارية في (مؤتمر برلين) الذي اختتم أعماله في ٢٠تموز ١٨٧٨ (٢٠رجب ١٢٩٥هـ) وفيه وقعت الدول الأوربية على اتفاقية تقرر فيها تمزيق الإمبراطورية العثمانية ، وتطبيق (مبدأ القوميات)(٥) . وبالفعل باشرت الدول الاستعمارية في انجاز مقررات المؤتمر . فاستولت روسيا على مقاطعات هامة في شرق الأناضول و قفقاسيا ، وفرضت نفوذها على جزء من بلغاريا التي تجزأت الى ثلاثة أقسام . واحتلت النمسا البوسنة و الهرسك . واستولت بريطانيا على جزيرة قبرص . وسيطرت فرنسا على تونس عام ١٨٨١م . أما ايطاليا فقد اعترضت على المؤتمر لانها لم تحصل على أي حصة من تقسيم الامبراطورية العثمانية(٦) .

إن هذه التطورات السريعة في المشروع الاستعماري ، كانت بمثابة الحل المؤقت لاقتطاع مايمكن اقتطاعه من العالم الاسلامي ، في ظل معاهدات عاجلة اتفق عليها المستعمرون لحفظ توازن المصالح فيما بينهم .وكان مؤتمر برلين في حقيقته اعلان الحرب الحضارية على الاسلام وبلاد المسلمين ، حيث اعتبرت الدول الاوربية ان الارض الاسلامية جزء من مشروعها السياسي الكبير الرامي الى فرض مصالحها على اوسع نطاق ممكن من العالم .

الموقف الشيعي من الاستعمار الإيطالي

ان التطبيقات العملمية لمؤتمر برلين لم تكن كافية لإرضاء طموحات المجموعة الاستعمارية ، إذ سرعان ما برزت الاختلافات فيما بينهم من أجل المزيد من عمليات القضم في البلاد الإسلامية .فقد كانت إيطاليا الناقمة على مؤتمر برلين قد استعدت لاقتطاع جزء من البلاد العثمانية ، فأعلنت الحرب على الدولة العثمانية في ٢٩ أيلول ١٩١١م (١٨ شوال ١٣٢٩هـ) بهدف الاستيلاء على طرابلس الغرب وبنغازي(٧).

مهدت إيطاليا لمشروع الاحتلال بسلسلة من الاتفاقيات مع الدول الاستعمارية ؛ لتضمن عدم منافستها . فعقدت في شباط ١٨٨٧م اتفاقية سرية مع بريطانيا جاء فيها : " ستؤيد إيطاليا اعمال بريطانيا في مصر ، ومقابل ذلك ستدعم بريطانيا الاعمال التي تقوم بها إيطاليا في أية ناحية من سواحل شمال إفريقية . ولاسيما في طرابلس الغرب و بنغازي ، وذلك في حالة استيلاء دولة ثالثة على أي جزء من أجزاء تلك السواحل ،وفي كل الأحوال سيساعد الطرفان بعضهما البعض في جميع الأمور التي تتعلق بالبحر المتوسط "(٨).كما عقدت إيطاليا معاهدة سرية مع فرنسا في كانون الأول ١٩٠٠م ضمنت من خلالها عدم منافسة الأخيرة لها في طرابلس الغرب،جاء فيها: " ان إيطاليا تعترف لفرنسا بالاولوية في مراكش،كما ان فرنسا تعترف لإيطاليا بالاولوية في طرابلس و بنغازي. فاذا أقدمت فرنسا على استحصال منافع جديدة في مراكش،فسيحق لإيطاليا أن تقوم بما تراه من إجراءات في طرابلس و بنغازي"(٩).

كما أجرت إيطاليا اتصالات مكثفة مع بريطانيا ، اثر اتفاق فرنسا و بريطانيا عام ١٩٠٤م الذي اعترفت فيه الأخيرة بحق إيطاليا في طرابلس الغرب ، وانما حصتها من الغنائم الافريقية (١٠) .وفي تشرين الأول ١٩٠٩م عقدت إيطاليا اتفاقية سرية مع

روسيا ورد فيها : " يعمل الطرفان على حل مسائل البلقان وفق مبدأ القوميات .. وتتعهد روسيا ان تنظر بعين العطف الى مصالح إيطاليا في طرابلس ، كما تتعهد إيطاليا ان تنظر بعين العطف الى مصالح روسيا في المضايق"(١١) .

وعندما استكملت إيطاليا تحركاتها الدبلوماسية ، و أتمت اتفاقياتها مع المجموعة الاستعمارية ، تحركت لاحتلال الأراضي الليبية ، وانزلت قواتها العسكرية في طرابلس و بنغازي . ولابد من الاشارة هنا الى ان ليبيا كانت تختلف من الناحية الإدارية عن مصر و تونس و الجزائر ، فهذه الأقاليم كانت تمتلك إدارة مستقلة ، لها جيوشها الخاصة ، وحكوماتها التي تتمتع بحكم ذاتي في نطاق الدولة العثمانية . أما ليبيا فكانت تابعة مباشرة للحكومة المركزية باسطنبول ؛ لذا تعاملت الحكومة العثمانية مع احتلالها على انه حرب مباشرة تستهدف ولاياتها ، خلافا لحالات مصر و تونس و الجزائر .وعلى هذا فقد كانت الاحتلال الإيطالي يمثل تحديا مباشرا لكيان الدولة ، الامر الذي ولد ردود فعل قوية داخل الولايات العثمانية(١٢) سلطان .

كانت الاستجابة الشيعية نشطة إزاء الحدث ، اذ ماكادت الدولة تتبنى اعلان الجهاد ، حتى بادر علماء الشيعة الى اصدار فتاواهم في وجوب الجهاد و محاربة الاستعمار الإيطالي . كما ساهمت الشيعة الى جانب السُنّة في تشكيل لجان الدفاع عن طرابلس الغرب ، وجمع التبرعات ، حتى ان الشيخ مبدر الفرعون رئيس ال فتله تبرع بمبلغ خمسمائة ليرة ، واعرب عن استعداده للاشتراك في الجهاد رغم انه كان معتقلا ، وقد اطلقت الحكومة العثمانية سراحه تثمينا لمواقفه(١٣) سلطان.

في كربلاء عقد الأهالي اجتماعا عاما عند ضريح الامام الحسين (ع) ألقيت فيه الخطب الحماسية ، ثم جرى جمع التبرعات . وفي ١٢ تشرين الأول ١٩١١م (١٨ شوال

١٣٢٩هـ) تظاهر ما يقرب من الالفين من أهالي المدينة (١٤) . وشهدت مدينتا النجف الاشرف و سامراء تظاهرات جماهيرية ألقيت فيها الخطب الحماسية ، ودعا الخطباء الى نبذ الخلافات الطائفية و توحيد الجهود (١٥) .

كما اهتم الشعر الشيعي بالاحتلال الإيطالي ، ونظم علماء القصائد السياسية التي تبين ابعاد التحدي الاستعماري وواجب المسلمين إزاء المشاريع الاستعمارية . كان من هولاء العلماء الشيخ محمد باقر الشبيبي و الشيخ علي الشرقي و الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء و غيرهم من علماء و شعراء الشيعة (١٦) . وارسلت الهيئة العلمية في النجف، السيد مسلم زوين و عزيز بك قائمقام النجف الى ليبيا لدراسة إمكانية الاشتراك في الجهاد (١٧) .وتزامن الاحتلال الإيطالي بطرابس ، مع هجوم روسيا على ايران ، مما جعل علماء الشيعة يصعدون من مواجهتهم للسياسيات الاستعمارية ، التي تحولت تطبيقاتها الى موجة عسكرية خطرة تهدد البلاد الإسلامية (١٨) سلطان.

أصدر الشيخ محمد كاظم الخراساني و الشيخ عبد الله المازنداني و شيخ الشريعة الاصفهاني و الشيخ علي رفيش و السيد محمد سعيد الحبوبي و السيد مصطفى الكاشاني و الشيخ حسن صاحب الجواهر و غيرهم من العلماء ، اصدروا الفتوى التالية : "من علماء النجف الاشرف الى كافة المسلمين الموجودين و من جمعتنا و إياهم جامعة الدين و الإقرار لمحمد (ص) سيد المرسلين ـ

السلام عليكم أيها المحامون عن التوحيد و المدافعون عن الدين و الحافظون لبيضة الإسلام .لا يخفى عليكم ان الجهاد لدفع الكفار عن بلاد الإسلام و ثغوره مما قام إجماع المسلمين و ضرورة الدين على وجوبه . قال الله سبحانه ((انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) ،هذه جنود إيطاليا قد هاجموا على

طرابلس الغرب التي هي من اعظم الممالك الإسلامية و أهمها ، وخربوا عامرها و ابادوا ابنيتها وقتلوا رجالها ونساءها و اطفالها . مالكم تبلغكم دعوة الإسلام فلا تجيبون ، وتوافيكم صرخة المسلمين فلا تغيثون ؟ أتنتظرون ان يزحف العدو الى بيت اللّه الحرام و حرم النبي (ص) و الائمة (ع) و يمحوا الديانة الإسلامية و الدولة العثمانية عن شرق الأرض و غربها . وتكونوا معشر المسلمين أذلّ من قوم سبأ .فاللّه اللّه في التوحيد . اللّه اللّه في الرسالة . اللّه اللّه في أحكام الدين وقواعد الشرع المبين. فبادروا الى ماافترض اللّه عليكم من الجهاد في سبيله ،واتفقوا ولا تفرقوا ، واجمعوا كلمتكم ، وبذلوا اموالكم ، واخذوا حذركم ،وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو اللّه و عدوكم ، لئلا يفوت وقت الدفاع وانتم غافلون ،وينقضي زمن الجهاد وانتم متثاقلون .فليحذر الذين يخالفون أمره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم" (١٩).

واصدر السيد كاظم اليزدي فتواه بوجوب الدفاع عن طرابلس الغرب ضد الاحتلال الايطالي و مواجهة التحدي لاستعماري الذي تتعرض له بلاد المسلمين .وقد حاول علماء الشيعة نشر الوعي السياسي على اكبر قاعدة من الامة الاسلامية . وذلك من خلال عرض مواقفهم في صحافة الدولة العثمانية . ولهذا المشروع الاعلامي اهميته السياسية انذاك ، نظرا لعدم اهتمام الدولة بالشيعة ، واتباعها سياسة طائفية جعلت الشيعة بعيدين عن دورهم الحقيقي في كيان الدولة . وعلى هذا فإن علماء الشيعة ارادوا كشف حقيقة موقفهم الاسلامية من اجل حث المسلمين كافة على التفاعل مع الدولة في مواجهة النشاط الاستعماري الذي يستهدف المسلمين بلا تمييز(٢٠).

. وضمن هذا الاتجاه أرسل الشيخ الخراساني و السيد اسماعيل الصدر و الشيخ عبد اللّه المازندراني و الشيخ محمد حسين المازندراني و شيخ الشريعة الاصفهاني ، البرقية التالية الى الصحف التركية في اسطنبول :."ظهرت منذ سنوات فكرة استيلاء

ايطاليا و روسيا على طرابلس و ايران ، واستبعاد المسلمين من اهلها و اذلالهم ، وعملت الدولتان على فتح تلك الاراضي الاسلامية المقدسة . نقول : انه بعد ان اصبحت نوايا الدولتين معلومة للجميع في الوقت الحاضر ، اذا اضمحلت كرامة ايران و قوميتها ، وقضي على استقلالها واذل شعبها لا سمح اللّه ، فإن ذلك سيكون ضربة مهلكة للعالم الاسلامي ، ومهما امعنت الدولتان اللئيمتان في تقطيع الممالك الاسلامية اربا اربا . فإن تمسك المسلمين بدينهم الحنيف كفيل بارجاعهما خائبتين خاسرتين .و نحن بصفتنا علماء المسلمين نؤكد ضرورة تخليص إيران ، ونطلب منكم اعلان حكمنا المتضمن وجوب الدفاع ، بصفتكم الى جميع المسلمين في شتى انحاء العالم ، ونعلمكم بأننا ملزمون و مستعدون لاراقة آخر قطرة من دمائنا في سبيل حفظ الاسلام و الوطن الاسلام" (٢١) .

كما ارسل كل من الشيخ الخراساني ، والشيخ عبد اللّه المازندراني برقية الى السلطان العثماني محمد رشاد في ١٧ ذي الحجة ١٣٢٩هـ تدعوه الى التصدي لمواجهة المشاريع الاستعمارية و التخلي عن سياسة المهادنة معها . وهذه البرقية تعكس قوة موقف علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار ، وحجم تفاعلهم مع مشاكل البلاد الاسلامية ؛ لانهم يشخصون أبعاد المشروع الاستعماري بدقة ،للدرجة التي يأخذون فيها على السلطان العثماني عدم اهتمامه المطلوب بالمخاطر التي يتعرض لها العالم الاسلامي ، نصت البرقية على مايلي :"الى المقام المقدس ملك المسلمين السلطان محمد الخامس خلد اللّه ملكه ...بسم اللّه الرحمن الرحيم

روع العالم الاسلامي نتيجة لتعرض بلادهم للغزو من جميع الاطراف . نحن بصفتنا رؤساء المذهب الجعفري الذي ينتمي اليه ثمانون مليونا من المسلمين من سكان ايران و الهند وسائر المناطق الاخرى ، وقد اتفقنا و حكمنا بوجوب الجهاد لغرض الدفاع و

الهجوم ، ونرى ان عموم المسلمين مكلفون باراقة الدماء لصيانة دين محمد (ص) ، وان ذلك العمل فرض عين . ونعرض على اعتاب الملك حامل الامانات المقدسة ، وخادم الحرمين الشريفين ، وخليفة الاسلام ، ونطلب منه الا يتضايق من اعطاء لواء النبي (ص) الى المسلمين الذين سيتقاطرون من انحاء العالم للدفاع عن بلادهم . وان محافظة السياسة الاوربية قد ولى ، ونسترحم بمقتضى الشريعة وشان الخلافة اعطاء الامر" (٢٢).

لقد اهتم علماء الشيعة خلال تلك الفترة بنشر الوعي السياسي ، وتركيزه في اذهان الامة ، من اجل توجيه انظارهم الى خطورة الواقع السياسي الذي يحيط بهم ، ومدى ضخامة التحديات الاستعمارية التي تتعرض لها الامة الاسلامية .وفي هذا السياق ، اصدر الشيخ حسن علي ال بدر القطيفي كراسا تحت عنوان "دعوة الموحدين الى حماية الدين " طبع في النجف الاشرف عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م)، وقد تحدث فيه المؤلف عن النشاط الاستعماري المكثف الذي تتعرض له اقاليم العالم الاسلامي في ليبيا و ايران ، واشار الى حلقات السياسة الاستعمارية التي سيطرت فيها الول الاوربية على الهند و السند و الاندلس و تونس و مصر و البحرين و عمان و غيرها من بلاد المسلمين .ووجه الشيخ القطيفي انظار المسلمين الى ان المشروع الاستعماري لم يتوقف بعد ، وانه يستهدف اقاليم اسلامية اخرى (٢٣).

وكذلك اصدر شيخ الشريعة (فتح اللّه) الاصفهاني كراسا باللغة الفارسية ، دعا فيه المسلمين الى ترك الخلاف و النفاق ، والتمسك بالاتحاد و الوفاق من اجل حفظ استقلال البلاد الاسلامية و والتصدي للنشاط الاستعماري الذي استهدف طرابلس الغرب و ايران و غيرهما من بلاد المسلمين (٢٤) . كما نشر شيخ الشريعة الاصفهاني بيانا عاما اشتمل على عشر نقاط تحليلية للتحدي الاستعماري ، بين فيها اساليب

الاستعمار في التوغل الى بلاد المسلمين ، وسيطرتهم على الحياة الاقتصادية فيها ، بحيث اصبح المسلمون بحاجة الى السلع الاجنبية، وقد اخذت ثروات المسلمين ترحل الى الدول الاستعمارية لقاء سلعهم الكمالية . وتحدث شيخ الشريعة في نقاطه العشر عن اساليب الاستعمار في الغزو الثقافي لبلاد المسلمين وسيطرتهم على اذهان ابناء الامة من خلال قوة النشاط الثقافي المغرض . ودعا الشيخ الاصفهاني في بيانه الى وحدة المسلمين لمواجهة المخطط الاستعماري الهادف الى السيطرة على العالم الاسلامي (٢٥) .

لقد سعى علماء الشيعة الى تصعيد حالة التصدي للاستعمار الغربي ، فعقدوا مؤتمرا ضخما في الصحن الكاظمي الشريف لتعبئة الجماهير ضد التحديات العسكرية الاستعمارية في ليبيا وايران .ووجهت لجنة المؤتمر عدة بيانات الى الكثير من الشخصيات و الهيئات الاسلامية تستنهض فيها المسلمين لمواجهة التحدي الاستعماري ، وتدعوهم الى العمل المكثف من اجل حفظ البلاد الاسلامية . وفي بيان اصدره الميرزا محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الاصفهاني و السيد اسماعيل الصدر و الشيخ عبد اللّه المازندراني و الشيخ محمد حسين المازندراني ، وذلك في صفر ١٣٣٠هـ (شباط ١٩١٢م) جاء فيه:"نلفت انظار جميع اهل التوحيد و كافة المسلمين بان الاسلام و المسلمين لم يصلوا في ايه فترة من الفترات ، مثلما وصلوا الية في هذه الفترة من الزمن . ان المصائب التي يمر بها الاسلام اليوم تعتبر من اشد المصائب .. وان الضربات التي يتلقاها العالم الاسلامي اليوم هي من اشد الضربات .. وان اساس الدين المبين في خطر ، واثار شريعة الرسول (ص) مهددة بالزوال ، ولم تبق في هذه الفترة سوى دولتين اسلاميتين مستقلتين ، هما الدولتين العليتين العثمانية و الايرانية اللتين تحملان اللواء المحمدي و تحيان حوزة الاسلام و الحرمين الشريفين و المشاهد المقدسة

.وان بقاء حرمة القرآن الكريم و اعلاء كلمتي الشهادة و اقامة دعائم الدين المبين ، يتوقف على بقاء هاتين الدولتين الاسلاميتين ... واذا ما اضمحلت هاتان الدولتان لا سمح الله فلن يبقى هناك للاسلام جامعة او حوزة ، و ستلحق بالاسلام و المسلمين وصمة عار ابدية و خذلان دائم لا أرانا الله ذلك اليوم ابدا.،و اليوم يقوم بعض الاجانب بحملات مسعورة ضد هاتين الدولتين اللتين باتتا تعانيان كافة اشكال المضايقات و الابتلاءات . فمن جهة امتدت يد الظلم الايطالية نحو مسلمي طرابلس الغرب ، حيث تسلب أموال الاهالي ويتعرض النساء و الاطفال الى القتل . ومن جهة اخرى تقوم القوات الروسية بتصويب نيران مدفعيتها ضد الضعفاء و العجزة في تبريز و تقوم باعدام كبار الشخصيات هناك ، وفي قزوين ورشت تدخل اجنبي ظالم ...واستنادا الى ذلك و بالنظر الى هجوم الكفار ، فقد قررنا نحن خدمة الشرع المنير مع جميع العلماء الاعلام من كربلاء و النجف و سامراء ، وحسب مسؤوليتنا الشرعية التجمع في الكاظمية عسى ان نجد حلا لانقاذ المسلمين من ظلم الاجانب و عدوانهم ، واذا لم يتمكن المسلمون في اقطار العالم الذين يعيشون في ظل حكم الاجانب بذل النفس لمساعدة اخوتهم فبامكانهم تقديم المساعدة عن طريق ابداء التضامن معهم .." (٢٦).

كان الاهتمام بالمخاطر التي تواجهها البلاد الاسلامية حديث الاوساط الشيعية عموما ، حيث استنفرت الحوزات العلمية في النجف الاشرف و كربلاء و سامراء و الكاظمية طلبة العلوم الدينية و كبار العلماء ، وقاموا بنشاطات واسعة عبأت خلالها الاوساط الجماهيرية بشكل ملحوظ . وفيما كان علماء الشيعة يمارسون نشاطاتهم المكثفة في تعبئة الراي العام ضد الغزو الاستعماري للبلاد الاسلامية ، كانت الدولة العثمانية تواجه ازمة جديدة . فقد بدات الدول البلقانية تنفق سرا لإعلان حرب جديدة ضد العثمانيين. مما اضطر الحكومة العثمانية الى عقد صلح

مع ايطاليا تنازلت فيه عن طرابلس و بنغازي لايطاليا ، على ان يحتفظ السلطان العثماني بحق تعيين الموظفين الدينين و بعض الصلاحيات الدينية البسيطة الاخرى (٢٧) .

ان هذا الاجواء في واقع الامر، لم ينفع الدولة العثمانية .فقبل يوم واحد من توقيع معاهدة الصلح مع ايطاليا ، شرعت جيوش بلغاريا و اليونان و صربيا و الجبل الاسود في ١٧تشرين الاول ١٩١٢ (٦ذي القعده ١٣٣٠هـ) بالهجوم على العثمانيين ، وبذا بدأت حرب ضروس تعد من ابشع الحروب في ضراوتها وفي المآسي التي نتجت عنها (٢٨) .وقد كشفت الدول الغربية عن موقفها الحقيقي في هذا التخطيط الاستعماري ، اذ صرح رئيس الوزراء البريطاني بان دولته صديقة جميع الدول على اختلافها . وقال رئيس وزراء فرنسا :" إن البلقان هي للصرب و البلغار و الجبليين و اليونان ، هذا حل عادل للمسالة البلقانية " (٢٩) .

لم تنته متابعات علماء الشيعة للغزو الاستعماري بنتائج الحوادث و التطورات السياسية ، انما واصلوا جهودهم من اجل حث الراي العام الاسلامي على وعي و تفهم ابعاد التحدي الاستعماري ، ورصد ملامح السياسة الاستعمارية في البلاد الاسلامية باشكالها و انماطها المختلطة .فلقد نظر علماء الشيعة الى المشاريع الاستعمارية على انها معركة حضارية طويلة يراد من ورائها السيطرة الشاملة على العالم الاسلامي ، وليست مجرد وقائع حربية محدودة بالجغرافيا و الزمن . ومن هنا واصل علماء الشيعة عملية التوعية العامة لابناء الامة تجاه المخططات الاستعمارية ، حيث استمرت الاحتفالات و المظاهرات الاحتجاجية في النجف الاشرف ضد الغزو الايطالي لطرابلس الى ما بعد عام ١٩٢٠م (٣٠) .

الموقف الشيعي مع الغزو الروسي

تولى محمد علي شاه عرش ايران في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٠٧م ،بعد وفاة والده مظفر الدين ١٩٠٧ شاه في الرابع من الشهر ذاته ، وبدأ هذا الداهية يعمل على تحطيم الدستور الايراني وعلى حل المجلس النيابي هذا المجلس وذاك الدستور اللذين بذل العلماء جهودا جبارة مع فئات الشعب الايراني لتشكيلهما سنة ١٩٠٧م على عهد والده مظفر الدين شاه ، لقد تمكن محمد علي شاه من هدم المجلس وتعطيل الدستور وقتل وسجن ونفي أبطاله في حزيران ١٩٠٨ الموافق ٢٣ جمادي الاولى ١٣٢٦هـ (٣١) ، وبذل الشاه محمد علي شاه الاموال وحشد الانصار في سبيل القضاء على حركة المشروطية في بلاده وكان الشعار الذي رفعه في ذلك هو ان الدستور بدعة مخالفة للشريعة الاسلامية ، وقد أيد الشاه في موقفه هذا لفيف من رجال الدين الكبار على رأسهم الشيخ فضل اللّه النوري وكان هذا الرجل من انصار المشروطية في اول الامر ثم انفصل عنهم واخذهم يحاربهم حربا لا هوادة فيها ويتهمهم بأنهم بابيون(٣٢) سلطان.

استمر رجال الدين و الشعب في ضغطهم على الشاه حتى سقوطه على يد الثوار الايرانيين يوم ١٣ تموز ١٩١٣ ،فلجأ الشاه محمد علي وزوجته الى مبنى المفوضية الروسية في طهران ، بينما استقبل سكان طهران الثوار بحماس كبير، و مباشرة عقد من تبقى من اعضاء المجلس الايراني اجتماعا استثنائيا قرروا خلاله خلع محمد علي شاه وتنصيب ابنه احمد على العرش الايراني باسم احمد شاه وكان وقتذاك يبلغ من العمر ١٤ سنة،فتم وضعه تحت وصاية عضد الدولة (٣٣).

لقد وفرت الثورة الدستورية الايرانية في الفترة من ١٩٠٥-١٩١١م ، رؤية لما ينبغي ان تكون عليه الحكومة الاسلامية للمجتهدين وكان مؤلف محمد حسن النائيني : "تنبيه الامة وتنزيه المله"اشهر الاعمال النظرية و المنهجية التي كتبها فقيه شيعي دعما للدستور الايراني ، وكانت اهمية مؤلف النائيني الذي نشر في النجف

في حوالي ١٩٠٩م تكمن في صياغته نظرية سياسية تحدد مسؤولية الحكم بنظر المجتهدين وتسطر مبادئ مقاومتهم للحاكم وتمثيلهم في شؤون الدولة دون تعطيل الشريعة (٣٤).

بعد خلع محمد علي شاه في تموز ١٩٠٩م واعادة الحياة الدستورية الى ايران ، وجدت روسيا ان نفوذها لم يعد كالسابق ، ايام كان محمد علي شاه يحكم ايران ، لذلك لجأت الى تقديم دعمها له في نشاطه الرامي الى استعادة عرشه ، عن طريق استغلال الاوضاع الداخلية الايرانية (٣٥) سلطان

حدث في عام ١٩١١م ان اصدر مسؤول الخزينة المركزية الايرانية وهو رجل اميركي يدعي " مورغان شوستر" قرارا بمصادرة اموال احد افراد عائلة الشاه المخلوع . وقد استغلت روسيا هذا الحادث ، فاعلنت ان قرار المصادرة يجب ان يلغى ، بدعوى ان الامير يتمتع بالحماية الروسية . وتشددت روسيا في موقفها ، فقدمت انذارا الى الحكومة الايرانية بأنها ستتدخل عسكريا في ايران اذا لم يقال المستر شوستر من منصبه ويبعد خارج ايران . وبالفعل نفذت تهديدها وزحفت الجيوش الروسية باتجاه المناطق الشمالية من ايران (٣٦) ، وذلك اواخر تشرين الثاني ١٩١١م (اوائل ذي الحجة ١٣٢٩هـ) . وقدمثل الهجوم الروسي على ايران تحديا جديدا للعالم الاسلامي ، فقد جاء بعد عدة اسابيع من الاحتلال الايطالي للاراضي الليبية ؛ لذلك كانت استجابة علماء الشيعة سريعة وقوية ، فقد اعلنوا فتاواهم بوجوب الدفاع عن ايران ضد الاحتلال الروسي . فقداصدر السيد كاظم اليزدي بيانا افتى فيه بالجهاد ، وتحدث عن الهجمة الاستعمارية التي تقوم بها كل من ايطاليا و روسيا و بريطانيا على البلاد الاسلامية ، ودعا المسلمين الى التصدي للاستعمار ، والدفاع عن كيان الدولتين الايرانية و العثمانية . جاء في البيان الذي صدر في ٢٧ تشرين الثاني ١٩١١

(٥ ذي الحجة ١٣٢٩هـ) : " اليوم هجمت الدول الاوربية على الممالك الاسلامية من كل جهة ، فمن جهة هجمت ايطاليا على طرابلس الغرب ، ومن جهة اخرى روسيا بتوسط عساكرها احتلت شمال ايران،وبريطانيا تدخلت في جنوبها.وهذا موجب لاضمحلال الاسلام،فلهذا يجب على عموم المسلمين من العرب و العجم ان يهيئوا انفسهم الى دفع الكفرعن الممالك الاسلامية،وان لايقصروا و لايبخلوا في بذل انفسهم واموالهم في جلب الاسباب التي يكون بها اخراج عسكر ايطاليا عن طرابلس الغرب و اخراج عساكر روسيا و الا نجليز من شمال و جنوب ايران ، التي هي من اهم الفرائض الاسلامية حتى تبقى المملكتان العثمانية و الايرانية مصونتين محفوظتين بعون الله من هجوم الصليبيين" (٣٧) .

اصدر السيد اليزدي هذا البيان رغم سوء علاقته بالحكومتين الايرانية و العثمانية . الا ان رؤيته للخطر الذي تتعرض لها البلاد الاسلامية ،وتشخيصه لابعاد التحدي الاستعماري جعلته يتخذ هذا الموقف الحاسم ويصدر فتواه بالجهاد .وكما ان الشيخ كاظم الخراساني وشيخ الشريعة الاصفهاني و السيد اسماعيل الصدر و الشيخ عبد الله المازندراني اصدروا البيان المشترك التالي :"الى الايرانيين و مسلمي الهند عامة .ان هجوم روسيا على ايران ، وايطاليا على طرابلس الغرب موجب لذهاب الاسلام ، واضمحلال الشرعة الطاهرة و القران . فيجب على كافة المسلمين ان يجتمعوا ويطالبوا من دولهم المتبوعة رفع هذه التعديات غير القانونية من روسيا و ايطاليا . وليحرموا السكون و الراحة على انفسهم مالم تكشف هذه الغمة و الغائلة العظمى وليعدوا هذه النهضة منهم تجاه المعتدين على البلاد الاسلامية جهادا في سبيل الله، ، كالجهاد في بدر و حنين " (٣٨) . وكتب الشيخ الخراساني الى علماء الدين في مدينة تبريز يأمرهم بوجوب التدرب على السلاح ، واصدر فتواه بحرمة شراء

البضائع الروسية .وحاولت الحكومة الروسية تهدئة الموقف الشيعي ، فبعث القنصل الروسي في بغداد رسالة الى الشيخ الخراساني ، شرح فيها الأسباب التي دفعت حكومته للتدخل العسكري،واكد ان بلاده ستنسحب من الأراضي الإيرانية عند قبول شروطها؛ولكن الشيخ الخراساني أجاب برسالة شديدة اللهجة،اعرب فيها عن اسفه لنقص روسيا التزاماتها مع ايران،واعتمادها الأسلوب العسكري بدلا من الإجراءات الدبلوماسية،وهدد الخراساني الحكومة الروسية بانها مالم تنسحب من الأراضي الإيرانية و تتخلى عن شروطها فان تراب ايران سيتلون بدماء الملايين ، وقال في رسالته:" لقد نفذ صبر المسلمين،ومادامت بينهم ورقة واحدة من القرآن الكريم،فأنها لايمكن ان يهزموا . اننا نحن المجتهدون مستعدون لبذل آخر قطرة من دمائنا في سبيل حفظ الدولة والشعب الإيراني" (٣٩) .

لقد نظر علماء الشيعة الى التحدي الاستعماري نظرة شاملة ، فحاولوا تصعيد العمل السياسي كموقف إسلامي عام في مواجهة الهجوم الاستعماري الذي يتعرض له العالم الإسلامي .ففي ٥ كانون الأول ١٩١١م (١٣ ذي الحجة ١٣٢٩هـ) أرسل رئيس مجلس الشورى الإيراني برقية الى علماء الدين في النجف الاشرف ، يخبرهم فيها بدخول القوات الروسية مدينة قزوين (٤٠) . فأثار هذا الخبر ردود فعل متزايدة في الأوساط الشيعية،وشهدت مدينة النجف الاشرف تظاهرات جماهيرية شارك فيها العلماء وطلبة الحوزة العلمية .بيد ان هذا التطور الجديد جعل علماء الشيعة يفكرون بعمل سريع ، لمواجهة التحدي الاستعماري المتزايد و الذي يهدد استقلال ايران . وقد وجد علماء الشيعة ان عدم مواجهة التحدي الاستعماري الروسي ، سيمكن الدول الاستعمارية من الاندفاع اكثر في تحقيق مشاريعها العسكرية في بلدان العالم الإسلامي ؛لذلك عقدوا اجتماعا طارئا تقرر فيه التحرك الى

الكاظمية في ١٢ كانون الأول ١٩١١م (٢٠ ذي الحجة ١٣٢٩هـ) ومن ثم قيادة التحرك العسكري ضد الاستعمار الروسي (٤١) . الا انه فجر يوم التحرك توفي الشيخ محمد كاظم الخراساني فجأة . وقد أثيرت حول وفاته المفاجئة الكثير من الشبهات ، فهو كان يمثل القيادة السياسية للعلماء ، وانضوت تحت لوائه حركة الجهاد الشيعي ضد الاستعمار(٤٢).

توجهت الاتهامات الى الروس و الإنكليز في وقوفهم وراء وفاة الشيخ الخراساني المفاجئة . وفي الحقيقة ان وفاة الخراساني كانت تمثل هدفا مشتركا لكل من روسيا وبريطانيا وحتى الحكومة الإيرانية نفسها،والذي يقودنا الى اشراكها ضمن المتهمين – فيما لو كانت الوفاة غير طبيعية – أن الشيخ الخراساني كان يحاول من وراء دخول ايران،إضافة الى اجلاء الروس،إعادة المشروطة الى اتجاهها الصحيح بعد ان انحرفت عنه بمسافات بعيدة . وعلى هذا فأن مشروع الخراساني كان يمثل تهديدا لروسيا و بريطانيا و الحكومة الايرانية على حد سواء،وان اختلفت دوافع الفرقاء الثلاثة.غير ان تصحيح مسار المشروطة و العودة بها الى المنهج الإسلامي الذي أراده الشيخ الخراساني وغيره من علماء الشيعة، وكان يمثل مشروعا مضادا لمصالح الثلاثة . وسيأتي بنا ان الحكومة الإيرانية أخذت تسعى لثني علماء الشيعة عن حركة الجهاد و الزحف نحو ايران. على ان من الضروري القول ان وفاة الخراساني المفاجئة ، لم تؤكد الوثائق التاريخية المعلنة مدى كونها حادثة اغتيال او وفاة طبيعية (٤٣) سلطان.

كانت وفاة الشيخ الخراساني صدمة عنيفة لحركة الجهاد ، مما جعل تحرك العلماء و المجاهدين يتأخر لبعض الوقت .الا ان الاهتمام بالتحدي الاستعماري ظل يستوعب نشاط الوسط الشيعي . فخلالها مراسيم التأبين و الفاتحة التي أقيمت

للشيخ الخراساني ، كانت الخطب و القصائد الشعرية تتركز حول الإخطار التي يتعرض لها العالم الإسلامي من قبل الدوائر الاستعمارية ، وتؤكد على ضرورة التصدي للهجمة الاستعمارية على بلاد المسلمين . و خلال شهر محرم ١٣٣٠هـ (كانون الثاني ١٩١٢م) قرر علماء الدين التوجه الى الكاظمية لاكمال مشروعهم الجهادي .فتم تشكيل لجنة من ثلاثة عشر عالما لادارة التحرك ضد الاحتلال الروسي لإيران . فيما كانت لجنة العلماء تعقد اجتماعاتها في مدينة الكاظمية المقدسة أقدمت القوات الروسية على اجتياح مدينة تبريز و قامت بمجازر بشعة كان من ضمنها اعدام مجموعة من علماء الشيعة . وقد اثار هذا الحدث مشاعر علماء الدين في العراق ، فاعلن السيد كاظم اليزدي انه سيتوجه الى الكاظمية المقدسة للمشاركة في تجمع العلماء (٤٤) .

اثار عزم علماء الدين على التحرك الى ايران على رأس كتائب المجاهدين،واهتمام الحكومة الإيرانية ، فارسلت البرقية التالية في٩ كانون الثاني ١٩١٢م (١٩محرم ١٣٣٠هـ) تطلب فيها من العلماء عدم التوجه الى ايران :"بغداد – من طهران – الجنرال القنصل الإيراني– ليد سماحة نجل الشيخ الخراساني والى حضرات المراجع أدام ظلهم ،يبدومما وصل القنصل في الكاظمية من أنباء،فان خطواتكم المباركة رغم ماينتج عنها من سعادة وبركة، الا ان الدولة تمر حاليا بمرحلة سياسية معقدة جدا،من المحتمل ان تترتب على تحرككم اثار سيئة قد يعتبرها الأجانب خطوة عدائية،الامرالذي قد تنتج عنه عواقب غير محمودة للدولة التي تتبع حاليا سياسة أهون الشرين،وتتجنب كل خطوة تتعارض مع حفظ بيضة الإسلام.وتدعوا الحكومة الإيرانية وبكل إصرار الغاء موضوع المسير،آملين بدعائكم ووجودكم وتوجيهاتكم المباركة ان تدفع الشدائد ويتم التوصل الى الهدف المنشود.مجلس

الوزراء –وثوق الدولة) [٤٥] .وبناء على هذا ، قرر علماء الدين عدم التحرك الى ايران و البقاء في الكاظمية لمتابعة التطورات ، كما ان السيد اليزدي قرر ايضا عدم التوجه الى الكاظمية ، غير ان لجنة علماء الدين أرسلت برقية الى الحكومة الإيرانية تطلب فيها احاطتهم بالمستجدات بصورة عاجلة .

كانت الحكومة الإيرانية تعاني من أزمات داخلية حادة نتيجة اضطراب الامن و خروج العديد من رؤساء العشائر على طاعة الدولة.وقد حاولت الحكومة الإيرانية تهدئة الازمة الداخلية من استكمال مفاوضاتها مع روسيا ؛ لذلك سعت الى الاستعانة بالعلماء في هذا الخصوص،إضافة الى تأكيداتها المتتالية بعدم تحرك العلماء الى ايران ، معللة ذلك بان تحركهم تترتب عليه نتائج خطرة تهدد استقلال ايران ، وان سير المفاوضات سيؤدي الى انسحاب القوات الروسية من الأراضي الإيرانية . بيد أن متابعة العلماء كانت دقيقة لاحداث ايران ، وقد ارسلوا برقياتهم الى الشعب الإيراني يطلبون فيها الوحدة و نبذ الاختلاف . وفي الوقت نفسه كانوا يؤكدون على الشعب الإيراني ضرورة رصده للاحداث ، وعدم سماحه للحكومة ان تعقد أي اتفاقية تمس استقلال ايران [٤٦] .

خلال تلك الفتره نشطت الأجهزة البريطانية التي كانت قواتها تسيطر على المناطق الجنوبية من ايران في تأزيم الأوضاع الأمنية ، عن طريق دفع مراكز القوى و زعماء العشائر الى الاقتتال ، مما دفع علماء الشيعة الى توجيه رسالة الى الشعب الإيراني تدعوهم الى الاتحاد لمواجهة المخططات الاستعمارية الروسية و البريطانية التي تستهدف استقلال البلاد ، جاء في الرسالة التي كتبها في ٢٠اذار ١٩١٢م(١ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ) كل من شيخ الشريعة و السيد إسماعيل الصدر و الشيخ عبد الله المازندراني و الشيخ محمد حسين الحائري : "ان وضع المسلمين عامة وفي ايران خاصة

، وهجوم الدول المجاورة وتشبثها بأنواع الحيل و المكائد من اجل القضاء على استقلال المسلمين و استبعادهم و محو شعائرهم ، امر بديهي لا يحتاج الى توضيح ، وان أهم وسيلة تجعلهم يتوصلون الى هدفهم تكمن في زرعهم الخلاف و النفاق وقطع أواصر الاتحاد بين المسلمين . وبعد ان تمكنوا من زرع الخلاف و النفاق بين رؤساء العشائر وغيرهم ، تمكنوا وبكل قوة و بدون أي رادع من ادخال قواتهم الى ايران وفعلوا مافعلوا ، ولم يكن احد يتمكن من منعهم و طردهم لانعدام الوحدة . وبما ان اول فريضة للمسلمين عامة و العلماء الاعلام خاصة هي حفظ بيضة الإسلام ، لذلك فقد اوعزنا . . الى السيد صدر الإسلام ..و الحاج محمد باقر .. بالتهيؤ للسفر و انتخاب نقطة خارج مدينة بوشهر لتجمع كافة الخانات و الزعماء واخذ المواثيق و العهود المؤكدة منهم للاتحاد فيما بينهم ونبذ العداوات الشخصية و المنازعات القديمة ، واخذهم بعين الاعتبار رضى الله و الرسول (ص) و الائمة الاطهار (ع) ، وان لا يقبلوا ان تمحي الشعائر الإسلامية ويتسلط الأجانب على التراب الإسلامي المقدس .. وان لا يسكتوا وهم الذين تربوا في مهد الإسلام تجاه هذه الهجمات المدمرة للدين و الدولة ..." (٤٧) .

إن هذه الرسالة تعكس اهتمام علماء الشيعة بقضية الاستقلال السياسي للبلاد الاسلامية ، وتبين تشخيصهم الدقيق لاساليب الاستعمار في تفتيت الوحدة الاجتماعية للمسلمين من اجل استنزاف قواهم الداخلية ، حتى تسهل السيطرة عليهم . ولقد كان لاهتمام علماء الشيعة بالوحدة الاجتماعية للشعب الايراني ،اثره الكبير في احباط المخططات الاستعمارية الروسية والبريطانية على السواء . فلقد ارادت روسيا وبريطانيا تفاقم الازمة الداخلية في ايران ؛ لايصالها الى مستوى الحرب الاهلية ؛لتتمكنا من وراء ذلك تغطية مشروعهما في فرض وجودهما العسكري على شمال و جنوب ايران . وقد تنبه علماء الشيعة الى هذه الحقيقة ،

فبذلوا جهودهم المكثفة لانهاء الازمة الداخلية ، وبالفعل استطاعوا ان يحققوا في هذا الاتجاه نجاحا ملموسا ، احبط المشروع الاستعماري لكل من روسيا و بريطانيا (٤٨).

الى جانب اهتمام الشيعة بالاوضاع الداخلية الايرانية ، فانهم ظلوا على اهبة الاستعداد للتوجه الى ايران ، فيما لو تعثر سير المفاوضات بين ايران وروسيا ، واصرت الاخيرة على عدم الانسحاب . وكانت الحكومة الايرانية حذرة في مفاوضاتها مع روسيا في مسألة تقديم تنازلات تثير علماء الدين .وقد وصلت في ٢٦آذار ١٩١٢م(٧ربيع الثاني ١٣٣٠هـ) الى الكاظمية برقية من وزير الخارجية الايراني ، قال فيها :" ان القوات الروسية انسحبت من بعض المناطق ، وسيتم انسحاب جميع القوات الاجنبية من الاراضي الايرانية ". وفي ضوء هذ التطور عقدت لجنة العلماء اجتماعا لها تدارست فيه المواقف السياسي الجديد ، وقررت ان مهمة التجمع في الكاظمية قد ادت اغراضها ، فتم الاتفاق على عودة علماء الدين الى اماكن اقامتهم في المدن المقدسة ، وبعد توجيه رسالة الى الشعب الايراني يؤكدون فيها ضرورة الحفاظ على الوحدة الاجتماعية ، و التماسك فيما بينهم من اجل الوقوف امام التحديات الاستعمارية ، التي تستهدف المسلمين بشكل عام ، وتحاول السيطرة على مقدراتهم السياسية و الاقتصادية(٤٩).

إن موقف علماء الشيعة في التصدي للمشاريع الاستعمارية يكشف عن دقة الفعل السياسي عندهم وبعد النظرة التي يحيطون بها الواقع السياسي العام ، كما أن الاحداث بينت حجم التفاعل الجماهيري مع علماء الشيعة في مواقفهم المتصدية للاستعمار ، وبذلك امتلك علماء الدين الشيعة عناصر الفعل السياسي المؤثر ، وفرضوا موقفهم التاريخي على مسار الاحداث .

المبحث الثاني

النشاط الشيعي المسلح خلال الحرب العالمية الاولى وحتى العام ١٣٣٤هـ/١٩١٥

مثلت الحرب العالمية الاولى بداية مرحلة جديدة في النشاط السياسي لعلماء الدين الشيعة ضد المشاريع الاستعمارية ، ولقد كانت هذه المرحلة تحولا حضاريا كبيرا في كل الواقع الاسلامي .حيث افرزت نتائج خطرة على مختلف الجوانب و المجالات في حياة المسلمين ، بدءا من السلطة السياسية و انتهاء بالشؤون الفردية للانسان المسلم . فكانت بذلك البداية الفعلية للسيطرة الحضارية الغربية على العالم الاسلامي ، وتوجيه القرار الغربي لمسارات الحياة في البلاد الاسلامية ، في تحولات ثقافية و سياسية و اجتماعية كانت تتكون بسرعة مذهلة و تعطي نتائج مؤثرة و متلاحقة (٥٠).

رغم هذه الاهمية الاستثنائية لتحديات الحرب العالمية ، وبروز التطبيق العملي الاكبر للمشاريع الاستعمارية ، الا ان الاستجابات الجماهيرية المضادة كانت تتحرك ببطء ثقيل ، فهي لم تقدر خطورة الهجمة القادمة ، ولذلك لم يتحول رد الفعل الى حالة جماهيرية عامة تستوعب كل الامة .ولا شك ان التردي العام الذي كانت تعيشه البلاد العثمانية،و الذي شمل كل جزء من الحياة في الدول ، ترك آثاره المتعبة على المجتمعات الاسلامية ، فنشأت الفاصلة بين السلطة و الامة . ثم جاءت الثورة على السلطة ، والتي سيطرت فيها جمعية الاتحاد و الترقي على الحكم ، لتزيد من اتساع هذه الفاصلة ، نتيجة انتهاج الاتحاديين نهجا قوميا متطرفا جعل ردود الفعل تتزايد حدة ازاء السلطة المركزية (٥١) سلطان.

كان هذا المقطع الزمني ذا اهمية عالية في تحديد اشكال المستقبل فيما بعد . اذ ان المواقف السياسية أخذت تبلور نفسها في اتجاهات مشخصة ، وهو ماتحول عند

اندلاع الحرب العالمية الى مواقف مؤثرة في مسار الاحداث . حيث وقفت الاتجاهات البارزة في البلاد العربية العثمانية ، مواقف متقاطعة و متعاكسة .فكان الاتجاه القومي قد حدد مساره العام بالانحياز الى جانب الانكليز ضد الدولة العثمانية . بينما وقف الاتجاه الاسلامي الشيعي الى جانب الدولة ضد الاستعمار البريطاني .ولقد كان تحديد المواقف قرارا تاريخيا أيامذاك ، باعتبار ان النتائج القريبة التي ستترتب بعد ذلك ، سيكون لها الاثر البالغ في التاثير على المشروع السياسي في الحكم ، وطبيعة الاستقلال الرسمي للدولة(٥٢) سلطان .

إن تلك المرحلة كانت حاسمة في توجيه مستقبل البلاد الاسلامية ،و خصوصا الجزيرة العربية و العراق و الشام ؛ لأنها كانت ساحات الصراع بين الاطراف المختلفة ، وميدان التطبيق الحقيقي للمبادئ و الاتجاهات الفكرية و السياسية . ولقد خضعت هذه المرحلة لتغطية واسعة من الدراسات و الابحاث التاريخية ، لكن الموقف الشيعي لم يأخذ حجمه الحقيقي في معظمها ، وأصر عدد غير قليل على إهماله و تجاوزه .وفي الحقيقة أن موقف الشيعة في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى ، كان يعكس مستوى وعي علمائهم و استيعابهم الشمولي لأبعاد الظرف الذي يعيشه العالم الاسلامي ؛ لذلك أكدوا مواقفهم بضرورة مساندة الدولة العثمانية رغم العلاقة المتوترة على طول الخط التاريخي بين الطرفين . و كانت مواقفهم تنطلق من تشخيصهم بان الدولة العثمانية رغم عدم امتلاك سلطانها شرعية الحكم ، إلا انها تمثل الإطار الاسلامي الذي يجمع الشعوب الإسلامية . فلا بدّ من مساندتها لمنع الزحف الاستعماري المتعاظم ، الذي يريد السيطرة على الساحات الاسلامية و يحاول تحكيم ارادته وقيمه على واقع المسلمين و حياتهم العامة(٥٣) سلطان.

إن تاريخ العلاقة بين الدولة العثمانية و الشيعة يشير في ارقامه السريعة الى الاضطهاد الذي عاناه الشيعة من قبل السلاطين العثمانيين،فقد كانت أول ردة

فعل طائفية لهم عندما أعلن الصفويون في ايران ان التشيع هو المذهب الرسمي لدولتهم ، فبادر العثمانيون الى اضطهاد الشيعة (٥٤) .ومارس السلطان سليم الاول سياسة اضطهاد قاسية ضدهم،فقد اعتبر الشيعة غير مسلمين،واعلن ضدهم الحرب المذهبية (٥٥) ، واستصدر من رجال الدين في دولته فتوى بكفر الشيعة وجواز قتلهم. وبناء على تلك الفتوى أقدم على قتل اربعين ألف شيعي (٥٦) .

كما أن وقوع العراق تحت الاحتلال المتناوب بين الصفويين و العثمانيين ، عرض الشيعة و السنة الى اضطهاد متبادل.وقد استمرت هذه الحالة المأساوية حتى الاحتلال العثماني الاخير للعراق عام ١٦٣٨م (١٠٤٨هـ) على يد السلطان مراد الرابع،الذي كان احتلاله للعراق بدافع طائفي بحت،مما جعله يشن حربا قاسية على الشيعة ، فكانت واحدة من النكبات الفظيعة في تاريخ التشيع (٥٧) ،حيث قتل خمسون ألف شيعي. وخلال حكم المماليك ،حاول داود باشا عام ١٨٢٥م (١٢٤١هـ) ،أن يستقل بالعراق عن الحكومة المركزية،فعارضته في ذلك مدينتي كربلاء والحلة،مما جعله ينتقم منهما بقسوة لاسيما مدينة كربلاء المقدسة التي قاومت جيشه ، فحاصرها من عام ١٢٤١هـ الى عام ١٢٤٥هـ حتى تمكن من احتلالها. وقد تعرضت المدينة لانتقامه،فقد قطع أشجار النخيل،واغار المياه ،وقتل عددا كبيرا من سكانها (٥٨) . وتعرضت كربلاء المقدسة أيضا الى انتقام نجيب باشا في عام ١٨٤٢م (ذي القعدة ١٢٥٨هـ) عندما أبت المدينة الخضوع لسلطة الاتراك،فوجهت الحكومة نجيب باشا على رأس جيش كبير اقتحم المدينة و استباحها،وقد زاد عدد القتلى على عشرين ألفا من سكان المدينة(٥٩).

إن مثل هذه الوقفات الدموية لايمكن ان تكون عابرة ، انها في الوجدان الشعبي جرح عميق متوارث عبر الاجيال يتعذر اخضاعه للنسيان ، بل كان التمييز الطائفي

يجعل من المأساة حقيقة متجددة بكل الآمها واحزانها ، خصوصا عندما يكون التعامل حالة سلطوية عامة ، و منهجا متداولا في الحكم رغم تبدل السلاطين و الولاة . وحتى بعد مجيئ الاتحاديين الى السلطة فإن هذه الصورة لم تتغير ، فلقد ظل الشيعة محاصرين في دائرتهم يتعرضون للمضايقة و التمييز الطائفي .في ضوء هذه الحقائق التاريخية ، كان المفترض أن يصبح الشيعة أقل شعوب الدولة العثمانية تفاعلا مع التحديات التي تتعرض لها . غير ان النتيجة جاءت معاكسة لذلك تماما .فلقد كان علماء الشيعة سباقين الى الفعل السياسي المؤثر الذي يدعم الدولة ضد التحديات الاستعمارية . انهم يتناسون مآسي الامس ؛ لانهم يجدون في تحديات اليوم خطرا يستهدف الاسلام و المسلمين ، وهذا ما شكل مفاجاة مذهلة للحكومة العثمانية عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى (٦٠).

موقف علماء الشيعة من الاحتلال البريطاني للعراق:

في بداية آب ١٩١٤م اندلعت الحرب العالمية الاولى ، وقد سارعت تركيا الى اعلان حيادها ، غير ان هذا الموقف خضع لضغوط عديدة من أجل زجها في الحرب ، لاسيما وان الدوافع الحقيقية كانت تتطلب فرض الحرب عليها لتنفيذ المشروع لاستعماري في تقاسم اقاليمها . وقد التقت تلك الدوافع مع الرغبة الجامحة للزعماء الاتحاديين في دخول الحرب الى جانب المانيا ، حيث كانوا يتصورون أن انتصار المانيا في الحرب مسألة حتمية ، وان الضمان الوحيد لسلامة تركيا من الاطماع الروسية هو تحالفها مع المانيا (٦١) . وتصورت حكومة الاتحاديين ان هذا لو تم ودخلت تركيا الحرب ، فانها ستعيد امجادها و تخرج من الحرب منتصرة قوية (٦٢).

أما المانيا فانها لم ترغب في البداية باشراك الدولة العثمانية معها في الحرب؛ لانها كانت ترى ان نهاية الحرب لصالحها،فلا مبرر لان يشاركها العثمانيون في

مكاسب النصر،اذ صرح السفير الألماني فون ونغنهايم :"إن المانيا كانت ترمي الى اثارة العالم الاسلامي على المسيحيين،أي انها كانت تنوي تسعير حرب دينية للقضاء على سلطة انكلترا وفرنسا في مستعمراتها الاسلامية كالهند و مصروالجزائروغيرها. ان تركيا بحد ذاتها ليست شيئا مهما،جيشها ضعيف ولا ننتظر منه اعمالا مجيدة في ساحات القتال،ولكننا نحن لا نرى في تركيا الا العالم الاسلامي،فاذا تمكنا من اثارة الرأي الاسلامي العام ضد انكلترا وفرنسا و روسيا،نكون قد أرغمناهم على طلب الصلح في وقت قريب" (٦٣) .

في اواخر تشرين الاول ١٩١٤م اعلنت كل من روسيا وفرنسا وبريطانيا الحرب على الدولة العثمانية (٦٤) وبذلك بدأت بدات مرحلة الحسم الاستعماري في السيطرة على البلاد الاسلامية.وقبل اعلان الحرب كانت بريطانيا قد استكملت اجراءاتها في ترتيب مقدمات غزوها للمنطقة الخليجية من خلال عقد عدة اتفاقيات مع الشيخ مبارك شيخ الكويت،والشيخ خزعل امير المحمرة،وعبد العزيز بن سعود ملك السعودية (٦٥) . لكن المشكلة التي واجهتها،هي موقف علماء الشيعة من احتلال العراق،حيث كانت بريطانيا تدرك ان علماء الشيعة لا يمكن ان يتقبلوا الاحتلال البريطاني،وذلك من خلال المواقف التي تبنوها ازاء الاحتلال الاستعماري للأقاليم الاسلامية ، وتصديهم لاي محاولة استعمارية تستهدف كيان المسلمين السياسي، وهذا ما عبر عنه السفير البريطاني في اسطنبول في رسالة له بتاريخ ٢٥ أيلول ١٩١٤م الى وزير الخارجية البريطاني قال فيها :"ان على نائب القنصل البريطاني في المدن الشيعية المقدسة ان يؤثر عليهم –على المجتهدين-بشكل كيس بجلبهم الى جانبنا" (٦٦) .لكن هذا المسعى لم يؤثر على الموقف الشيعي شيئا فلقد سارع علماء الدين الشيعية الى اعلان الجهاد فور تعرض العراق لهجوم القوات البريطانية (٦٧).

اعلان الجهاد

قبل ان تعلن بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية ، صدرت الاوامر الى القوات البريطانية في بومبي بالتحرك نحو المياه الخليجية و المرابطة في البحرين . وبعد اعلان الحرب تقدمت القوات البريطانية نحو العراق في ١٤ تشرين الثاني ١٩١٤م (٢٥ ذي الحجة ١٣٣٢هـ) فاحتلت الفاو (٦٨) . وكانت الدولة العثمانية قد اعلنت الجهاد في ٧ تشرين الثاني ، لكن هذا الاعلان لم يحقق النتائج المطلوبة في اقاليم الدولة . وكانت المفاجأة الكبيرة للحكمة العثمانية ان يبادر علماء الدين الشيعة الى اصدار فتواهم بالجهاد ووجوب محاربة الانكليز.وفي ٩ تشرين الثاني ١٩١٤م وصلت برقية من البصرة الى علماء الدن في المدن المقدسة و مختلف المدن العراقية تخبرهم بالخطر الذي يهدد المدينة جاء فيه :"ثغر البصرة الكفار محيطون به ، الجميع تحت السلاح ، نخشى على باقي بلاد الاسلام ، ساعدونا بامر العشائر بالدفاع" (٦٩) .

استجاب مراجع الدين الشيعة بشكل سريع و مكثف لهذا الخبر ، فأصدروا فتاواهم بوجوب الدفاع عن البلاد ضد الغزو البريطاني ، وعقدوا اجتماعا كبيرا في مسجد الهندي في مدينة النجف الاشرف ، خطب فيه السيد محمد سعيد الحبوبي، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ جواد الجواهري ، واكدوا وجوب مشاركة الحكومة المسلمة في دفع الكفار عن بلاد الاسلام (٧٠) .وفي الصحن العلوي الشريف ارتقى السيد كاظم اليزدي المنبر و خطب في الناس يدعوهم الى الدفاع عن البلاد الاسلامية ، وأوجب على الغني العاجز بدنا ان يجهز من ماله الفقير القوي (٧١) . وفي الكاظمية تصدى الشيخ مهدي الخالصي لحركة الجهاد (٧٢) واصدر فتواه بوجوب الدفاع عن بلاد الاسلام ، وكتب رسالة بعنوان "الحسام البتار في جهاد الكفار" كما أصدر حكما اوجب فيه على المسلمين صرف جميع اموالهم في

الجهاد حتى تزول غائلة الكفار، ومن امتنع عن بذل ماله وجب اخذه كرها. كذلك أفتى السيد مهدي الحيدري بوجوب الجهاد ، وعقد اجتماعا كبيرا في الصحن الكاظمي الشريف، دعا فيه الناس الى الجهاد .وفي سامراء اصدر الميرزا محمد تقي الشيرازي فتواه بوجوب محاربة الانكليز، وارسل ابنه الشيخ محمد رضا للالتحاق بالسيد الحيدري (٧٣).

ان دعوة علماء الشيعة للجهاد كشف عن رؤيتهم الواعية لطبيعة المرحلة التي تعيشها البلاد الاسلامية ، فقد وجدوا في الغزو البريطاني جزءا من المشروع الاستعماري الكبير الذي بدأ قبل ذلك بسنوات ، والذي يستهدف السيطرة على البلاد الاسلامية و تجزئتها الى مناطق نفوذ متعددة بين القوى الاستعمارية. واذا كانت فتاوى علماء الشيعة في وجوب الجهاد شكلت مفاجأة للحكومة العثمانية ،فإن مبادرتهم في قيادة كتائب المجاهدين و سرعة الاستجابة الشيعية لهذه المبادرة، شكل مفاجأة للأتراك و الانكليز على حد سواء(٧٤).

توجه علماء الدين الى جبهات القتال على رأس كتائب المجاهدين الذين زاد عددهم على اربعين الف مجاهد . فقد انطلق السيد محمد سعيد الحبوبي من النجف في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٤م (٢٥ ذي الحجة ١٣٣٢هـ) عن طريق السماوة و الناصرية. وفي ١٧ تشرين الثاني تحرك موكب السيد عبد الرزاق الحلو.وتلا ذلك تحرك المجاهدين عن طريق بغداد بقيادة كل من، شيخ الشريعة الاصفهاني، والسيد علي الداماد، والسيد مصطفى الكاشاني،وموفدوا السيد كاظم اليزدي، وهم ابنه السيد محمد ،والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وذلك في ٢ تشرين الثاني ١٩١٤م (٧محرم ١٣٣٢هـ) .وفي ٢٢ كانون الاول ١٩١٤م (٤ صفر ١٣٣٣هـ) غادر النجف الشيخ جعفر الشيخ عبد الحسين، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ حسين الحلي،

والشيخ حسين الواسطي، و الشيخ منصور المحتصر، و كثير من العلماء و طلبة الحوزة العلمية (٧٥) .

وقد توزع المجاهدين على ثلاث فرق . الاولى في القرنة، برئاسة السيد مهدي الحيدري، وشيخ الشريعة الاصفهاني، والسيد مصطفى الكاشاني، والسيد الداماد . و الثانية في الحويزة، برئاسة الشيخ مهدي الخالصي وابنه الشيخ محمد و السيد محمد اليزدي و الشيخ جعفر راضي و السيد كمال الحلي . والثالثة في الشعبية، برئاسة السيد محمد سعيد الحبوبي، والشيخ باقر حيدر، والسيد محسن الحكيم(٧٦).

بذل علماء الشيعة جهودهم لتوسيع دائرة حركة الجهاد ، وكانت امارة عربستان تمثل منطقة هامة من الناحية العسكرية انذاك ؛ لذا ارسل علماء النجف الاشرف الى حاكمها الشيخ خزعل البرقية التالية في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤م (١ محرم ١٣٣٣هـ) : "باسم الشريعة المحمدية يجب عليك النهوض و القيام و اتفاقكم مع المسلمين في مدافعة الكفار عن ثغر البصرة بالمال و النفس و بكل ما تقدرون عليه، وهذا حكم ديني لا يفرق بين الايراني و العثماني جاهدوا باموالهم و انفسكم لينصركم الله بحوله" . وقع على هذه البرقية كل من شيخ الشريعة (فتح الله) الاصفهاني، والسيد مصطفى الكاشاني، والميرزا مهدي الخراساني، والسيد علي التبريزي، والشيخ محمد حسين المهدي (٧٧) .

وفي نفس اليوم ارسل السيد كاظم اليزدي البرقية التالية الى الشيخ خزعل :" لا يخفى ان من اهم الواجبات المحافظة على بيضة الاسلام و الدفاع بالنفس و النفيس عن ثغور المسلمين ضد مهاجمة الكفار . وانت في ثغرمهم من تلك الثغور ، فالواجب حفظ ذلك الثغر عن هجوم الكفار بكل ما تتمكن . كما يجب ذلك على سائر العشائر القاطنين في تلك الجهات ، و اللازم عليك تبليغ ذلك اليهم .كما انه يحرم

على كل مسلم معاونة الكفار معاونة الكفار و معاضدتهم على محاربة المسلمين ، و الامل بهمتك و غيرتك ان تبذل تمام جهدك في دفع الكافرين . و اللّه مؤيدك بالنصر على اعدائه ان شاء اللّه تعالى" (٧٨).

كان الشيخ خزعل يرتبط مع الانكليز باتفاقية تحالف ، تعهد فيها الانكليز بالحفاظ على امارته و الاعتراف باستقلالها اذا ماظلّ حليفا لهم يعمل بمشورتهم (٧٩) وهذا ماجعله يتمسك بحياده .وقد حاول الشيخ عبد الكريم الجزائري بحكم العلاقة الوثيقة مع الشيخ خزعل ان يحمله على مشاركة في الجهاد ، فكتب اليه يأمره ان يقف الى جانب الدولة العثمانية ، وان يعبئ العشائر لمحاربة الانكليز.غير ان خزعل اجابة بالاعتذار شارحا موقفه من الانكليز . فقطع الشيخ الجزائري علاقته به، ومع ان الشيخ خزعل حاول اعادة العلاقة بعد انتهاء الحرب ، الا ان الشيخ الجزائري اجابة بمبدئية :" فرق ما بيني و بينك الاسلام"() (٨٠) .لكن الشيخ خزعل سمح لقوات المجاهدين بالمرور عبر اراضيه وذلك استجابة لطلب السيد اليزدي (٨١) .وفي اواخر كانون الثاني ١٩١٥ وصلت من العمارة قوة تركية بقيادة توفيق بك الخالدي فعسكرت على ضفاف نهر الكرخة على بعد عشرين ميلا من بلدة الاهواز .ثم جاءت على اثرها قوات المجاهدين بقيادة الشيخ مهدي الخالصي، وابنه الشيخ محمد، والسيد محمد اليزدي، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والسيد عيسى كمال الدين . واعقب ذلك عمليات عسكرية نفذتها العشائر ضد المنشآت النفطية البريطانية (٨٢) .

اهتم علماء الدين الشيعة بتعبئة العشائر العراقية ومتابعة شؤون حركة الجهاد . فمثلا امتنع الشيخ خيون العبيد في الشطرة عن المشاركة في الجهاد . فكتب اليه السيد كاظم اليزدي عدة رسائل يأمره بالمشاركة ، فقد بعث برسالة الى عشائر

الشطرة يحثهم على الجهاد قال فيها :" السلام على كافة اخواننا في الشطرة وفيما حولها ورحمة اللّه وبركاته .غير خفي عليكم أنا ابرقنا غير مرة لكم و لغيركم وكتبنا حتى كل القلم و شافهنا حتى اضطرب اللسان حثا على الدفاع و الزاما بحفظ الثغر المهاجم ، وأقول الان عودا على بدء : يجب عليكم الدفاع وحفظ بيضة الاسلام ، فبأي عذر بعد اليوم تعتذرون ، واتقوا اللّه حتى تقاته و لاتموتن الا وانتم مسلمون " (٨٣) .

وفي رسالة شخصية بعثها السيد اليزدي الى الشيخ خيون العبيد كتب فيها يقول :"ذو الرشد المتكاثر و العقل الوافر ولدنا الاعز خيون ادام اللّه عزته وأجزل توفيقه و كرامته .وبعد ، فقد بلغك كما بلغنا هجوم الكفار على بلاد المسلمين وأحاطتهم بالبصرة يريدون ليطفئوا نور اللّه بأفواههم ويأبي اللّه الا ان يتم نوره وحيث كان الامر كذلك فأني الزمك وأوجب عليك ان تتوجه انت مع جمع المسلمين الذين هم طوع امرك الى البصرة لسد ثغرها ودفع الكفرة الحافين بها ، فإن ذلك واجب عليك من اللّه تعالى ، و على كل من بلغه كلامي ممن شد الرحال الى البصرة بماله و نفسه و خيله وسلاحه ورجاله ، وليس لمسلم متمكن من ذلك عذر ، و الحكومة و ساير المسلمين في هذا اليوم سواء في وجوب الدفاع و حفظ بيضة الاسلام . وفقكم اللّه وساير المسلمين لذلك ، وبلوغ الاجر فيما هنالك . و السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته" (٨٤).

وارسل السيد السيد اليزدي رسالة أخرى الى الشيخ خيون يقول فيها:"جناب الافخم خيون ال عبيد حرسه اللّه تعالى"بعد السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته...يقينا"بلغت كما بلغنا هجوم الكفار على بلاد المسلمين واحاطتهم البصرة يريدون ليطفئوا نور اللّه بأفواههم ويأبى اللّه الا أن يتم نوره ولو كره المشركون. وحيث ان الامر كذلك فلا يجوز لك ان تشغل نفسك بغير مدافعة

الكافرين ، فأن الواجب عليك – وعلى كل من بلغه فتوانا من وجوب الدفاع على المتمكنين من المسلمين عند مهاجمتهم الكفار على بلاد الاسلام ان تشد رحلك الى حفظ ذلك الثغر ، ولايسوغ عن التقاعد عن نصرة الاسلام والمسلمين"(٨٥).

لم يكتف السيد كاظم اليزدي بمخاطبة خيون العبيد ، انما طلب من بعض رؤساء العشائر بذل جهودهم في الضغط عليه من اجل مشاركته في الجهاد . فقد كتب السيد اليزدي الى رئيس عشيرة الازيرج في الناصرية الرسالة التالية :" ذو العز المنيع و المجد الرفيع و الفضل الجلي، قاطع آل بطي أدام اللّه عزته وأجزل توفيقه و كرامته ..... وبعد ، فقد بلغنا أن خيون غير موافق للحكومة ، والحكومة في هذا اليوم وساير المسلمين سواء في وجوب دفاع الكفار ؛ لانه يجب على كل مسلم متمكن حفظ بيضة الاسلام و دفاع الكفار الهاجمين على المسلمين . فاللازم عليك من قبلنا أن تمنعه من مخالفة الحكومة ، وتلزمه مع أصحابه و الجمع الذي تحت يده ان يتوجه الى البصرة لحماية ثغرها،ودفع الكفرة المحيطين بها،فإني أوجب عليهم ذلك.كما إني أوجب عليك ان تتوجه مع جمعك وأصحابك الى البصرة لسد ثغرها ورد الكفرة عنها،فإن لكم بذلك الأجر الجزيل و الثواب الجميل من اللّه العزيز الجليل.وليس لكم ولا لكل مسلم متمكن من ذلك عذر عند اللّه تعالى . والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته" (٨٦).

كما بعث السيد اليزدي رسائل أخرى بهذا الخصوص الى رؤساء الناصرية ، وظل يتابع بدقة موقف الشيخ خيون العبيد من اجل اشراكة في الحرب دفاعا عن بلاد الاسلام . وقد برر خيون قعوده بانه كان قد استولى على مجموعة من الاسلحة من الاتراك، لو امتلكوا القوة فإنهم سينتقمون منه ، فكتب اليه السيد اليزدي بأنه يضمن عدم تعرضه لسخط الاتراك (٨٧).والى جانب ذلك ارسل السيد محمد سعيد

الحبوبي الى خيون يطلب حضوره الى الناصرية ، وهناك استحصل له من الحكومة عفوا عنه وعن اتباعه وبذلك اعلن حركة الجهاد (٨٨).

عندما اعلن خيون العبيد مشاركته في الدفاع عن الدولة ضد الهجوم البريطاني ،ارسل اليه السيد اليزدي رسالة يثمن فيها موقفه فكتب يقول : "ذي العزة و المنعة و الاباء و الرفعة الامجد الاكرم جناب الشيخ خيون المكرم زيد توفيقه ....لازلت مؤيدا منصور ، وقلب الشرع بك فرحا مسرور بما انت فيه من حياطة الإسلام و صيانة اعراض المسلمين ، و المحافظة على الذمام ، وحماية شريعة سيد المرسلين ، تعطي السيف حقه جهادا في سبيل اللّه ، باذلا نفسك طلبا لرضاه ، مخلدا لك الكر الجميل في كل جيل و كل قبيل آمين بمحمد صلى اللّه عليه وآله الطاهرين. وبعد ، فقد بلغني عنك ما هو المأمول فيك من الشيمة العربية و النهضة الاسلامية ، شكر اللّه تعالى مساعيك ، وشدد صولتك على الكافرين وجعل من طلائعك الرعب ، و النصر لك قرين . فلعمري لقد نشطتني على المداومة لك بالدعوات راجيا من اللّه تعالى ان يزهق بسيفك أرواح المشركين ويطهر تلك الصفحات وها انا بما اعد اللّه تعالى للمجاهدين من الخير أهنيك ، ويرسم التعزية بالأكرمين عسكرومطر أعزيك، فلك البقاء و لهما البشرى بالسعادة الابدية ، و الحياة السرمدية ، و الامل ان تكون المبلغ كافة العشائر المشتركين في هذا الوجه الحسن عني التشكر لتلك المساعي المشكورة ، و الوثبات المأثورة ، وأن تخصهم و نفسك بالتحية و السلام" (٨٩).

موقف الجهاد في مسار الحرب

حاولت بعض الدراسات التاريخية الحديثة التقليل من شأن المجاهدين الذين اشتركوا في الدفاع ضد الاحتلال البريطاني ، وذلك عن طريق وصفهم بأنهم اندفعوا في المعركة من اجل الحصول على المغانم و حاولت كتابات أخرى ان تصور اشتراك علماء الدين الشيعة و المجاهدين في الحرب ضد الهجوم الاستعماري ، على انه

مشاركة هامشية لا تمتلك قيمة عسكرية مؤثرة . وذهب الى ذلك ذوو الاتجاه القومي في كتابة التاريخ المعاصر . وحاول بعض هؤلاء الباحثين إغفال دور مراجع و علماء الدين من غير العرب ، الذين أفتوا بالجهاد و شاركوا في القتال ، اما بصورة مباشرة او عن طريق ممثليهم كالسيد كاظم اليزدي و الميرزا محمد تقي الشيرازي ، وذلك من اجل سعيهم لتوظيف حركة الجهاد بالاتجاه القومي(٩٠).

ان حركة الجهاد استطاعت ان تعبئ و بسرعة ملحوظة عددا كبيرا من المجاهدين بلغ اكثر من اربعين الف مقاتل ، وهو رقم كبير قياسا بعدد افراد الجيش العثماني النظامي ، كما ان المواقف البطولية و الاداء العسكري كان ناجحا في اكثر من معركة ، انما الخلل كان في طريقة الاداء العسكري التركية وعدم قدرتها على توظيف طاقات المجاهدين واخلاصهم في الدفاع عن بلاد الاسلام . وننقل هنا نص وثيقة تاريخية وهي رسالة بعثها الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الى السيد محمود اليزدي من جبهات القتال ، وكان معه السيد محمد ابن السيد كاظم اليزدي ، وفيها يتحدث عن الموقف العسكري و الانتصارات التي حققها المجاهدين على القوات البريطانية ، قال فيها :

" بسم اللّه الرحمن الرحيم وسلام اللّه على نبيه وأهل بيته الى الاخ الاعز الامجد ثقة الاسلام سيدنا الاجل السيد محمود اطال اللّه عمره وشد ازره ...بعد تقديم عرائض الشوق و التحية و التسليم . نبدي لكم انه وصلنا كتابكم مؤرخ ٢٤ صفر وحمدنا اللّه سبحانه على سلامتكم و سلامة ايه اللّه أدام اللّه على الاسلام ظله ، اما نحن و حضرة المولى السيد محمد ادام اللّه علاه و جميع متعلقيه ففي خيروعافيه ، واما بشائر الجيش الاسلامي نصره اللّه فمن اول امس الى اليوم صباحا و مساءً تردنا البشائر بالتقديم و الظفر واندحار العدو خذله اللّه . اما القوى و العساكر والمدافع

فهي ايضا كل يوم ترد منها كثرة لا تعد،وتنحدر في المراكب الى الاوردي. واولياء الامور يحثون العلماء وخاصة المولى السيد محمد علي التوجه الى ايران لانها في غاية الاغتشاش،وربما يلزمهم ذلك ويتعين عليهم ولا مندوحة لهم عنه،ونسأله تعالى ان يقضي لهم بما فيه الخير والصلاح ان شاء الله ..." (٩١)

لقد كان دفاع المجاهدين وصمودهم ،له الاثرالكبيرفي بعض المعارك التي دارت بين الانكليز و الجيش العثماني،ففي ٢٠ كانون الثاني ١٩١٥م (٤ ربيع الاول ١٣٣٣هـ) شنت القوات البريطانية هجوما مكثفا على موقع الروطة الواقع على بعد خمسة عشر كيلو مترا شمال القرنة ، وكان المجاهدون بقيادة السيد مهدي الحيدري الذي نصب خيامه في مقدمة الجيش قريبا من مواقع الانكليز . وقد بدأ الانكليز هجومهم بقصف مدفعي مكثف على مواقع الجيش الاسلامي ،وكانت القذائف تسقط حول خيام السيد الحيدري . فعرض عليه اصحابه تقويض الخيام و الانسحاب الى الخلف ، لكنه رفض ذلك وأصر على البقاء قائلا :"ان معنويات الجيش كله ستنكسر اذا قوضتم خيامنا ،وربما ظنوا بأننا قد انسحبنا عن مراكزنا،فتضعف عزيمتهم وتنهار قوتهم،بل يجب أن تبقى هذه الخيام قوة للجيش وراية للاسلام وهيبة للمسلمين ورهبة للكافرين" (٩٢) .ولم يكتف السيد الحيدري بذلك ، بل خرج يحث المجاهدين على الثبات و الصمود .وكان الانكليز يرمون بثقلهم في المعركة مستخدمون كثافة نارية في هجومهم ، حتى ان القائد العثماني سليمان العسكري جرح خلال المعركة ، واخذ الضابط الاتراك يفكرون بالانسحاب ، غير ان صمود السيد مهدي الحيدري و كتائب المجاهدين ، فرض عليهم مواصلة الدفاع حتى انتهت المعركة بانتصار الجيش الاسلامي ، و تقهقر القوات البريطاني (٩٣) .

كان حضور علماء الدين و كتائب المجاهدين بقيادة السيد محمد سعيد الحبوبي فاعلا قبل معركة الشعبية التي وقعت في ١٢ نيسان ١٩١٥م(٢٧ جمادي الاولى ١٣٣٣هـ) و خلالها . فقد تحصنت القوات البريطانية في الشعبية تقع على بعد تسعة اميال من الجنوب الشرقي للبصرة ،ونظمت دفاعات مستحكمة حولها . وكانت الخطة التي وضعها القائد العثماني سليمان العسكري تقضي بقيام الجيش النظامي بالهجوم على موقع الشعبية من القلب ، فيما يشن المجاهدون هجومهم من الجانبين الايمن و الايسر . وقد اقترح عليه قادة المجاهدين ان الهجوم على الشعبية لا يحقق النتائج المطلوبة نظرا لقوة التحصينات التي اقامها الانكليز ، كما ان الضباط الالمان ابدوا لسليمان العسكري وجهة النظر نفسها (٩٤) . لكن العسكري لم يهتم بهذه الاراء ، واصر على الهجوم ،فدارت المعركة بشدة بين الطرفين،وكان القتال ضاربا اضطر فيه الجانبان الى الاقتتال بالسلاح الابيض،وابدى المجاهدون بسالة مشهودة وكذلك الجيش العثماني . وفي اليوم الثالث من القتال قررالانكليز الانسحاب الى الوراء،فأمر القائد البريطاني نقل الجرحى الى الخطوط الخلفية تمهيدا للانسحاب، وفي هذه اللحظة قرر الاتراك الانسحاب (٩٥) .

ادى انسحاب الاتراك الى تغيير نتائج المعركة تماما ، فبدل ان تلحق الهزيمة بالانكليز ، فأنهم تحولوا الى منتصرين لسوء تقدير قيادة الجيش العثماني . ورغم اخلاص المجاهدين و مواقفهم البطولية ، فان القادة الاتراك لم يحسنوا التعامل معهم في معظم الحالات . فمثلا قال احمد بك اوراق احد قادة الاتراك امام المجاهدين : " اننا لو فتحنا الشعيبة و البصرة يبقى علينا واجب ثان وهو فتح العراق و خاصة الفرات اولا و عشائر شط دجلة ثانيا لانهم خونة" ، فأجابه الشيخ بدر الرميض رئيس بني مالك

: " أنتم الخونة للاسلام و تحزبكم ضد العرب كاف لمصداق قولي ، وانتم بعد هذا اولى بالحرب و القتال ممن نحارب . ولولا فتوى علمائنا لما وجدتمونا في هذه الساحات التي نقاتل فيها " (٩٦).

لقد كانت لنتائج معركة الشعبية اثرها العميق في نفوس المجاهدين . وقد تسببت في وفاة السيد محمد سعيد الحبوبي كمدا لما شاهده من هزيمة في الوقت الذي كان بالامكان فيه تحقيق النصر على الانكليز لولا سوء تقدير و ادارة القيادة العثمانية للعمليات الحربية ،كما لم تكن معاملة الاتراك لقوات المجاهدين و لجهود علماء الدين الشيعة تتمتع بالياقات المطلوبة في ظروف صعبة مثل ظروف الحرب . ورغم ذلك فقد كان اندفاع العلماء قويا لمواجهة الاستعمار البريطاني باعتباره تحديا عسكريا يستهدف بلاد المسلمين . وكان هذا الموقف يمثل اروع صور مواقف المرجعية الدينية في جهادها ضد الاستعمار بكافة انواعه واتجاهات

الخاتمة

كان التاريخ الجهادي للمرجعية للدينية حافل ومليء بالاحداث الملتهبة التي لايمكن اختصارها في كتاب أو كتابين ،بل يمكن القول : ان تاريخ المسلمين – خصوصا"الحديثةرهين لتاريخ النضال الدامي الذي قام به وقاده علماء الدين المجاهدين. وفي حقبة من هذا النضال،حقبة بالغة الحساسية في تاريخ المسلمين لاسيما في العراق وايران،كان لعلماء الدين دورهم المتميز خصوصا" خلال الحقبة الممتدةمن ثورة التنباك في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي وحتى ثورة العشرين في اواخر العقد الثاني من القرن العشرين.بين الشيرازي محمد حسن الكبير والشيرازي محمد تقي، ومابين هاتين الثورتين تعقيدات ونضال متراكم لاحد له، فقضية الحركة الدستورية في ايران كانت مخاضا" غير وجه الحياة الايرانية

عموما"، وثورة العشرين في العراق تركت بصماتها على مستقبل الشعب العراقي برمته.بيد ان هناك الكثير من المواقف والرؤى والتحليلات حول ادوار علماء الدين في الحياة السياسية والنضالية، كما وهناك الكثير من التشويه والبخس لبعضهم على الاقل.

عندما قام الاستعمار الايطالي باحتلال ليبيا سنة١٩١١م،كانت الاستجابة الشيعية نشطة إزاء الحدث ، اذ ماكادت الدولة تتبنى اعلان الجهاد ، حتى بادر علماء الشيعة الى اصدار فتاواهم في وجوب الجهاد و محاربة الاستعمار الإيطالي . كما ساهمت الشيعة الى جانب السنة في تشكيل لجان الدفاع عن طرابلس الغرب ، وجمع التبرعات ، حتى ان الشيخ مبدر الفرعون رئيس ال فتله تبرع بمبلغ خمسمائة ليرة ، واعرب عن استعداده للاشتراك في الجهاد رغم انه كان معتقلا ، وقد اطلقت الحكومة العثمانية سراحه تثمينا لمواقفه،في كربلاء عقد الأهالي اجتماعا عاما عند ضريح الامام الحسين (ع) ألقيت فيه الخطب الحماسية ، ثم جرى جمع التبرعات . وفي ١٢ تشرين الأول ١٩١١م (١٨ شوال ١٣٢٩هـ) تظاهر ما يقرب من الالفين من أهالي المدينة. وشهدت مدينتا النجف الاشرف و سامراء تظاهرات جماهيرية ألقيت فيها الخطب الحماسية ، ودعا الخطباء الى نبذ الخلافات الطائفية و توحيد الجهود.

وعندما زحفت الجيوش الروسية باتجاه المناطق الشمالية من ايران، وذلك اواخر تشرين الثاني ١٩١١م (اوائل ذي الحجة ١٣٢٩هـ) . كان هذا الهجوم الروسي على ايران قد مثل تحديا جديدا للعالم الاسلامي ، فقد جاء بعد عدة اسابيع من الاحتلال الايطالي للاراضي الليبية ؛ لذلك كانت استجابة علماء الشيعة سريعة وقوية ، فقد اعلنوا فتاواهم بوجوب الدفاع عن ايران ضد الاحتلال الروسي . فقداصدر السيد كاظم اليزدي بيانا افتى فيه بالجهاد ، وتحدث عن الهجمة الاستعمارية التي تقوم بها

كل من ايطاليا و روسيا و بريطانيا على البلاد الاسلامية ، ودعا المسلمين الى التصدي للاستعمار ، والدفاع عن كيان الدولتين الايرانية و العثمانية. وكانت هذه الفتوى تعكس اهتمام علماء الشيعة بقضية الاستقلال السياسي للبلاد الاسلامية ، وتبين تشخيصهم الدقيق لاساليب الاستعمار في تفتيت الوحدة الاجتماعية للمسلمين من اجل استنزاف قواهم الداخلية ، حتى تسهل السيطرة عليهم.

ان دعوة علماء الشيعة للجهاد كشف عن رؤيتهم الواعية لطبيعة المرحلة التي تعيشها البلاد الاسلامية ، فقد وجدوا في الغزو البريطاني جزءا من المشروع الاستعماري الكبير الذي بدأ قبل ذلك بسنوات ، والذي يستهدف السيطرة على البلاد الاسلامية و تجزئتها الى مناطق نفوذ متعددة بين القوى الاستعمارية . واذا كانت فتاوى علماء الشيعة في وجوب الجهاد شكلت مفاجأة للحكومة العثمانية ،فإن مبادرتهم في قيادة كتائب المجاهدين للتوجه لقتال البريطانيين في معركة الشعيبة، وسرعة الاستجابة الشيعية لهذه المبادرة ، شكل مفاجأة للأتراك و الانكليز على حد سواء ،ولقد كانت لنتائج معركة الشعبية اثرها العميق في نفوس المجاهدين . وقد تسببت في وفاة السيد محمد سعيد الحبوبي كمدا لما شاهده من هزيمة في الوقت الذي كان بالامكان فيه تحقيق النصر على الانكليز لولا سوء تقدير و ادارة القيادة العثمانية للعمليات الحربية ،كما لم تكن معاملة الاتراك لقوات المجاهدين و لجهود علماء الدين الشيعة تتمتع باللياقات المطلوبة في ظروف صعبة مثل ظروف الحرب . ورغم ذلك فقد كان اندفاع العلماء قويا لمواجهة الاستعمار البريطاني باعتباره تحديا عسكريا يستهدف بلاد المسلمين . وكان هذا الموقف يمثل اروع صور مواقف المرجعية الدينية في جهادها ضد الاستعمار بكافة انواعه واتجاهاته.

الهوامش:

[1] ساطع الحصري ، البلاد العربية و الدولة العثمانية،ط٢ ،(بيروت :دار العلم للملايين،١٩٨٥م) ، ص١٥١.

[2] لويس دوللو ، التاريخ الدبلوماسي،ترجمة وتحقيق ،سموحي فوق العادة ، (عمان:دار عويدات للنشر والطباعة،١٩٩٩م)،ص٢١.

[3] د.علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الثاني ،(بغداد:مطبعة الارشاد،١٩٦٩-١٩٧٦م)، ص٦٢.

[4] جورج انطونيوس، يقظة العرب،ط٤ ،(بيروت:دار العلم للملايين،١٩٨٢م)، ص٩٣.

[5] المصدر نفسه،ص ٩٣،

[6] لويس دوللو مصدر سابق،، ص٢٩-٤٠.

[7] عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الثامن،(بغداد:مطبعة بغداد الجديدة،١٩٦٥م)،ص٢١٩.

[8] المصدر نفسه،ص٢٢٠.

[9] ساطع الحصري ،مصدر سابق ، ص١٧٥-١٧٦

[10] د.توفيق برو،العرب والترك في العهد الدستوري العثماني١٩٠٨-١٩١٤،(القاهرة:دارالهنا للطباعة والنشر،١٩٦٠م)، ص٢٧٨.

[11] ساطع الحصري ،مصدر سابق ، ص١٧٥-١٧٦.

[12] المصدر نفسه،ص١٧٦.

[13] جورج انطونيوس،مصدر سابق،ص٩٤.

[14] حسن شبر، تاريخ العراق السياسي المعاصر التحرك الاسلامي في العراق ١٩٠٠- ١٩٥٧ ،الجزء الثاني،(بيروت:دار المنتدى،١٩٩٠م) ، ص١١١.

[15] د.وميض جمال عمر نظمي، شيعة العراق و قضية القومية العربية - المستقبل العربي، (مجلة)،بيروت ،العدد(٥٦)،آبد تشرين الأول ١٩٨٢.

[16] علي الخاقاني،شعراء الغري ،(النجف: دارالبيان،١٩٥٥م)،الجزء الأول، ص٤٣٠ ،والجزء السابع ،ص٣٤،والجزءالثامن ،ص١٧٩. ؛ د.ابراهيم الوائلي ، الشعر العراقي و حرب طرابلس.،(بغداد :بلا،١٩٦٤م)صص٥٥-٥٧

[17] حسن شبر،مصدر سابق ، الجزء الثاني ، ص١١٢.

[18] المصدر نفسه،ص١١٢.

[١٩]) عبد الحليم محمد علي ،المصلح المجاهدالشيخ محمد كاظم الخراساني،(النجف : مطبعة النعمان، ١٩٧٢م)،ص١٨٤-١٨٥.

[٢٠]) المصدر نفسه،ص١٨٥.

[٢١] ( ) د. عبدالله فياض ،الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ،(بغداد:وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٧٥م)، ص٢٧-٢ وقد نشرت هذه البرقية في جريدة (النجف الاشرف) في عددها رقم (٣٠) الصادر بتاريخ٢٣ذي الحجة ١٣٢٩هـ

[٢٢] ( ) د. عبد الله فياض، المصدر نفسه، ص٢٨-٢٩ ، كما نشرت البرقية في جريدة (النجف الاشرف) ، العدد (٣٠).

[٢٣] ( ) د. عبد الله فياض ، المصدر نفسه، ص٢٦-٢٧.

[٢٤])المصدر نفس ،ص٢٦.

[٢٥] ( )تراجع النقاط العشر في : "العلم"،(مجلة)، النجف، العدد الثاني، لسنة ١٩١١م.،ص٤

[٢٦] ( ) نظام الدين زاده ،هجوم روس بإيران و اقدامات رؤساء دين در حفظ ايران،مج١ ،(بغداد:مطبعة الاداب، ١٣٣١ه) ،ص٢٢١.

[٢٧] ( ) ساطع الحصري ، مصدر سابق ، ص١٩١-١٩٢ .

[٢٨] ( ) د . علي الوردي ، مصدر سابق ، الجزء الثالث ، ص١٥١.

[٢٩] ( ) د.توفيق برو ،مصدر سابق ، ص٣٤٩.

[٣٠] ( ) حسن الاسدي ،ثورة النجف على الانكليز،(بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٥م)،ص١٢٤.

[٣١] ( ) محمد علي كمال الدين النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨م،تحقيق وتعليق كامل سلمان الجبوري، (بيروت:دار القاري للطباعة و النشرو التوزيع ، ٢٠٠٥م)،ص١٣٣.

[٣٢]) المصدر نفسه،ص١٣٣.

[٣٣] ( ) خضير مظلوم فرحان البديري ، التأريخ المعاصر لايران وتركيا، (النجف:دار الضياء١٤٣٠ه/٢٠٠٩م)، ص٥٢.

[٣٤])صباح كريم رياح الفتلاوي ،ايران في عهد محمد علي شاه ،(النجف:دار التميمي للنشر والتوزيع، ١٤٣٣ه/٢٠١٢م)،ص٢٦٩.

[٣٥]) المصدر نفسه،ص٢٧٠.

[٣٦] ( ) جوزف .لمبتون ،نكارشي برتاريخ نوين،ترجمة سيمين فصيحي،(مشهد:جاب هاشميون،بلا)، ص٥٢-٥٣.

[٣٧] ( ) د.عبدالله فياض ، مصدر سابق ،ص١١٧ .

[٣٨] ( ) ينظر: "لغة العرب"،(مجلة)، (بغداد ،دارالحرية للطباعة، ١٣٩٥ه/١٩٧٥م)،مج(١)،العددالسابع،كانون الثاني ١٩١٢.صص٣٨

[٣٩]( ) عبد الحسين مجيد نوائي، زند كاني آخوند خراساني ،(تهران:نيناد فرهنك،١٣٤٧ه)،ص٢٥٧.

[٤٠]( ) مجلة لغة العرب، المصدر السابق،ص٣٩..

[٤١]( ) عبد الرحيم محمد علي ،مصدر سابق ،ص١٠٦.

[٤٢]) المصدر نفسه،ص١٠٦.

[٤٣]) المصدر نفسه،ص١٠٧

[٤٤]( ) نظام الدين زاده ،مصدر سابق ،ص١٢٩.

[٤٥]( ) المصدر نفسه ،ص١٣٦ـ١٣٧.

[٤٦]( ) عبد الهادي الحائري ، تشيع و مشروطيت در ايران ونقش ايرانيان مقيم عراق(طهران:دار امير كبير،١٣٦٤ه)،ص١٦٢.

[٤٧]( ) نظام الدين زاده، مصدر سابق ، ص٢٢٢ ويراجع هذا الكتاب للاطلاع على البرقيات المتبادلة بين علماء الدين وبين رجال الدولة في ايران ، وهي تمثل وثائق تاريخية هامة و نادرة ، كما ان كتاب (نظام الدين زاده) يعتبر مصدرا تاريخيا هاما لان مؤلفه كان معاصرا للاحداث . وقد طبع الكتاب في بغداد عام ١٩١٣م(١٣٣١هـ) مع ملاحظة ان المؤلف يتحامل كثيرا على السيد كاظم اليزدي ، ويهمل ذكر نشاطاته انذاك .ومنها على سبيل المثال ، انه يعتبر السيد اليزدي رفض بشده التدخل في مسألة الاحتلال الروسي لايران حتى وفاة الشيخ الخراساني . مع ان السيد اليزدي اصر فتواه بوجوب الجهادو مواجهة الاستعمار الروسي في بداية الحدث ، وكان مع اوائل علماء الشيعة الذين افتوا بالجهاد . وقد نشرنا نص فتواه في الصفحات السابقة .

[٤٨]) سليم الحسني،دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار١٩٠٠ـ١٩٢٠،(بيروت:الغدير للدراسات والنشر،١٤١٥ه/١٩٩٥م)،ص٧١.

[٤٩]) المصدر نفسه ص٧٢.

[٥٠]) عبد الهادي الحائري،مصدر سابق،ص١٦٣.

[٥١]) المصدر نفسه،ص١٦٤.

[٥٢]) سليم الحسني،مصدر سابق،ص٧٧.

[٥٣])المصدر نفسه ص٧٧.

[٥٤]( ) صادق نشأت و مصطفى حجازي ،صفحات من ايران،(القاهرة: مطبعة مخيمره،١٩٦٠م) ، ص٧٩.

[٥٥]( ) محيط طباطبائي، تطور حكومت در أيران بعد از اسلام،(طهران: نشر بعثت،١٣٧٥ه)، ص١٩٢.

[٥٦]( ) د. علي الوردي ، مصدر سابق ، الجزء الاول ، ص٤٦.

[٥٧]( ) محمد حسين المظفر ، تاريخ الشيعة،(بيروت:دار الزهراء ،١٩٨٢م) ، ص١٦.

[٥٨] ( ) سلمان هادي الطعمة ، تراث كربلاء،(بيروت:مطبعة الايمان،١٤٠٣/١٩٨٣م)،ط٢،ص٣٧٦.

[٥٩]) المصدر نفسه،ص ٣٧٦.

[٦٠]) سليم الحسني،مصدر سابق،ص٧٩

[٦١] ( ) د.توفيق برو مصدر سابق ،ص٤٩٨.

[٦٢] ( ) محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، الجزء الاول ،(الموصل: مطبعة محفوظ،١٩٢٤م)،ص٦٨.

[٦٣] ( ) د.علي الوردي ،مصدر سابق ، الجزء الرابع ، ص٢٠.

[٦٤] ( )عباس العزاوي، مصدرسابق، الجزء الثامن ، ص٢٥٤.

[٦٥] ( ) يرجع في هذا الخصوص : حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي،(بيروت:الدار العربية،١٩٧١م).ص٣٢؛. رياض نجيب الريس،جواسيس العرب،.(لندن:دار رياض الريس للنشر،١٩٨٥م)،ص١١٢-١١٤؛ ستيفن همسلي لونكريك،. اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث،ترجمة جعفر خياط ،(بغداد: مكتبة اليقضة العربية،١٩٨٥م)،صص١٩٩-٢٠٣؛

[٦٦] ( ) د.غسان العطية ،العراق ..نشأة الدولة،ترجمة عبد الرزاق الوهاب ،(لندن:دار اللام،١٩٨٨م)،ص١١٦.

[٦٧]) المصدر نفسه،ص١١٧.

[٦٨] ( ) تشارلس طونزند،مذكرات الفريق طونزيد (محاربتي في العراق)،ترجمة عبد المسيح وزير،(بغداد:مطبعة دار السلام،١٩٢٣م)،ص٥١.والمولف يروي تفصيلات الحملة العسكرية البريطانية و سيرها في العراق .

[٦٩] ( ) د.علي الوردي، مصدر سابق ،الجزء الرابع ، ص١٢٧.

[٧٠] ( ) المصدر نفسه ،الجزء الرابع ، ص١٢٨.

[٧١] ( ) حسن شبر ،مصدر سابق ، الجزء الثاني ،ص١٤٩.

[٧٢] ( ) محسن الامين ، اعيان الشيعة . المجلد العاشر ،(بيروت:دار التعارف،١٤٠٣/١٩٨٣م)،ص١٥٧.

[٧٣] ( ) حسن شبر، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص١٤٩-١٥٠.

[٧٤])سليم الحسني،مصدر سابق،ص٨٣

[٧٥] ( ) حسن الاسدي ،مصدر سابق ، ص٩١.

[٧٦]) المصدر نفسه،ص٩١.

[٧٧] ( ) حسن شبر مصدر سابق ، الجزء الثاني ، ص١٥٢.

[٧٨] ( ) المصدر نفسه ، ص١٥٣.

[٧٩] ( ) حسين خلف الشيخ خزعل ، المصدر السابق ، الجزء الثالث ، ص١٠١.

[٨٠]) د.علي الوردي ، المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص١٤١.

[٨١]) سليم الحسني، مصدر سابق،ص٨٦.

[٨٢]) د.علي الوردي ، مصدر سابق ، الجزء الرابع ، ص١٤١-١٤٢.

[٨٣]) وثيقه خطية يحتفظ بها السيد عبد العزيز الطباطبائي ضمن مجموعة الوثائق الخطية للسيد اليزدي.،نقلا" عن :سليم الحسني،مصدر سابق،ص٨٦.

[٨٤]) وثيقه خطية يحتفظ بها السيد عبد العزيز الطباطبائي ضمن مجموعة الوثائق الخطية للسيد اليزدي.:نقلا" عن سليم الحسني،المصدر نفسه،ص٨٨.

[٨٥]) السيد عبد العزيز الطباطبائي ، مجموعة وثائق السيد اليزدي المخطوطة:نقلا عن سليم الحسني، المصدر نفسه،ص٩٠.

[٨٦]). د.علي الوردي ،مصدر سابق ، الجزء الرابع ،ص٢٤٧

[٨٧]). السيد عبد العزيز الطباطبائي ،مجموعة وثائق السيد اليزدي المخطوطة: نقلا عن سليم الحسني، المصدر نفسه،ص٩١.

[٨٨]) السيد عبد العزيز الطباطبائي ، مجموعة وثائق السيد اليزدي المخطوطة: نقلا عن سليم الحسني، المصدر نفسه،ص٩٣

[٨٩]). السيد عبد العزيز الطباطبائي ، مجموعة وثائق السيد اليزدي المخطوطة: نقلا عن سليم الحسني، المصدر نفسه،ص٩٧

[٩٠]) حسن شبر، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص١٥٥.

[٩١]( ). أحمد الحسيني ، الامام الثائر السيد مهدي الحيدري، (النجف: مطبعة الاداب ،١٣٨٦ه)،ص٤٠-٤١ .والمؤلف يتحدث عن تفصيلات الواقعة واعجاب القادة الاتراك بالسيد الحيدري الذي تجاوز الثمانين من العمر.

[٩٢]) محمد طاهر العمري ، المصدر السابق، الجزء الاول ، ص١٠٦ . .

[٩٣]) المصدر نفسه ، ص١٠٦

[٩٤]( )فريق المزهرالفرعون،الحقائق الناصعة في الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠ ونتائجها،الجزءالاول،(بغداد :مطبعة النجاح،١٩٥٥م)،ط٢،ص٤٠..

[٩٥]) د.علي الوردي مصدر سابق، الجزء الرابع ، ص١٤٩.

[٩٦]) فريق المزهر الفرعون،مصدر سابق،ص٤١.

.....

المصادر والمراجع:

اولا:الوثائق:

١ـالسيد عبد العزيز الطباطبائي،مجموعة وثائق السيد كاظم الطباطبائي اليزدي،محفوظة عند السيد سليم الحسني.

ثانيا:المصادر العربية والمعربة

١ـأحمد الحسيني ، الامام الثائر السيد مهدي الحيدري، ، (النجف: مطبعة الاداب ،١٣٨٦ه)

٢ـ تشارلس طونزند، (محاربتي في العراق)،ترجمة عبد المسيح وزير،(بغداد:مطبعة دار السلام،١٩٢٣م).

٣ـحسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي،،(بيروت:الدار العربية،١٩٧١م).

٤ـحسن الاسدي ، ثورة النجف على الانكليز ،. ،(بغداد: دار الحرية للطباعة،١٩٧٥م)،

٥ـحسن شبر،تاريخ العراق السياسي المعاصر،التحرك الاسلامي في العراق١٩٠٠ـ ١٩٥٧،الجزء الثاني،(بيروت:دار المنتدى،١٩٩٠م)

٦ـ جورج انطونيوس، يقظة العرب،ط٤،(بيروت:دار العلم للملايين،١٩٨٢م).

٧ـخضير مظلوم فرحان البديري،التأريخ المعاصر لايران وتركيا، (النجف:دار الضياء١٤٣٠ه/٢٠٠٩م)،

٨ـ د.ابراهيم الوائلي ، الشعر العراقي و حرب طرابلس.،(بغداد:بلا،١٩٦٤م).

٩ـد.توفيق برو،العرب والترك في العهد الدستوري العثماني١٩٠٨ـ ١٩١٤،(القاهرة:دارالهنا للطباعة والنشر،١٩٦٠م)

١٠ـد. عبدالله فياض ،الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠،(بغداد:وزارة الثقافة والاعلام،١٩٧٥م)

١١ ـد.غسان العطية ، العراق ..نشأة الدولة ، ترجمة عبد الرزاق الوهاب ،(لندن:دار اللام،١٩٨٨م)،

١٢ـرياض نجيب الريس. جواسيس العرب،.(لندن:دار رياض الريس للنشر،١٩٨٥م)،

١٣ـساطع الحصري ، البلاد العربية و الدولة العثمانية،ط٢،(بيروت :دار العلم للملايين،١٩٨٥م)

١٤ـستيفن همسلي لونكريك،اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث،ترجمة جعفر خياط،(بغداد : مكتبة اليقضة العربية،١٩٨٥م)،

١٥ـ سليم الحسني،دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار١٩٠٠ـ ١٩٢٠،(بيروت:الغدير للدراسات والنشر،١٤١٥/١٩٩٥م)،

١٦ـسلمان هادي الطعمة ، تراث كربلاء،(بيروت:دار الزهراء ،١٩٨٢م)

١٧ـصادق نشأت ومصطفى حجازي،صفحات من ايران،(القاهرة:مطبعة مخيمره،١٩٦٠م).

١٨ـصباح كريم رياح الفتلاوي ايران في عهد محمد علي شاه،(النجف:دار التميمي للنشر والتوزيع،١٤٣٣/٢٠١٢م)،

١٩ـفريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠ ونتائجها،الجزء الاول(بغداد :مطبعة النجاح،١٩٥٥م)،

٢٠ـ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الثامن،(بغداد:مطبعة بغداد الجديدة،١٩٦٥م)

٢١ـ عبد الحليم محمد علي ،المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني،(النجف : مطبعة النعمان،١٩٧٢م)

٢٢ـ علي الخاقاني،شعراء الغري ،(النجف: دارالبيان،١٩٥٥م)،الجزء الأول، ص٤٣٠ ،والجزء السابع ،ص٣٤ ،والجزءالثامن

٢٣ـد.علي الوردي،لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث،الجزء الثاني،(بغداد:مطبعة الارشاد،١٩٦٩ـ١٩٧٦م)

٢٤ـمحسن الامين ، اعيان الشيعة . المجلد العاشر،(بيروت:دار التعارف،١٤٠٣/١٩٨٣م)

٢٥ـمحمد حسين المظفر ، تاريخ الشيعة ، (بيروت:دار الزهراء ،١٩٨٢م)

٢٦ـمحمد طاهر العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، الجزء الاول،(الموصل: مطبعة محفوظ،١٩٢٤م)،

٢٧ـمحمد علي كمال الدين النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨م ، تحقيق و تعليق كامل سلمان الجبوري،(بيروت: دار القاري للطباعة و النشرو التوزيع ، ٢٠٠٥م).

٢٨ـ لويس دوللو ، التاريخ الدبلوماسي. لويس دوللو ، التاريخ الدبلوماسي،ترجمة وتحقيق ،سموحي فوق العادة ، (عمان:دار عويدات للنشر والطباعة،١٩٩٩م)،

ثانيا:المصادر الفارسية:

١ـ جوزف .لمبتون ،نكارشي برتاريخ نوين،ترجمة سيمين فصيحي،(مشهد:جاب هاشميون،بلا)،

٢ـ عبد الحسين مجيد كفائي ،زند كاني آخوند خراساني،(تهران:نيناد فرهنك،١٣٤٧ه)،

٣ـعبد الهادي الحائري،تشيع ومشروطيت در ايران ونقش ايرانيان مقيم عراق،(طهران:دارامير كبير،١٣٦ه).

٤ـ محيط طباطبائي، تطور حكومت در أيران بعد از اسلام ،(طهران: نشر بعثت،١٣٧٥ه).

٥ـ نظام الدين زاده ،هجوم روس بإيران و اقدامات رؤساء دين در حفظ ايران،مج١،(بغداد:مطبعة الاداب، ١٣٣١ه).

ثالثا:الصحف والمجلات العربية:

١ـجريدة (النجف الاشرف) في عددها رقم(٣٠) الصادر بتاريخ٢٣ذي الحجة ١٣٢٩هـ

٢ ـمجلة العلم النجفية العدد الثاني لسنة ١٩١١م

٣ ـمجلة لغة العرب ،(بغداد:دارالحرية للطباعة والنشر،١٩٧٥م)، العدد السابع ، كانون الثاني ١٩١٢.

المقالات المنشورة

١ـد.وميض جمال عمر نظمي، شيعة العراق وقضية القومية العربية،" المستقبل العربي"،(مجلة)،بيروت،آب – تشرين الأول ١٩٨٢.

(Abstract)

The history of the jihadist reference to religion is full of inflammatory events that can not be summarized in a book or two books, but it can be said that the history of Muslims - especially the "modern" - bears witness to the history of the bloody struggle waged by the Mujahideen. In the history of Muslims, especially in Iraq and Iran, religious scholars had their distinctive role, especially during the period extending from the Tanbak revolution in the late ١٩th century until the twentieth revolution in the late ٢٠th century. Between Shirazi Muhammad Hassan al-Kabir and Shirazi Muhammad Taqi, and between these two revolutions And the revolution of the twentieth in Iraq left its mark on the future of the Iraqi people as a whole. However, there are many positions, visions and analyzes on the roles of religious scholars in political life and struggle, There is also a lot of distortion and deception for

When the Italian colonial occupation of .at least some of them Libya in ١٩١١, the Shiite response was active about the event, as the state rarely adopt the declaration of jihad, even initiated the Shiite scholars to issue their fatwas that jihad and fight against Italian colonialism. The Shiites also contributed to the formation of the committees to defend Tripoli and the West, and to raise funds. Even Sheikh Mabdir al-Fara'un, head of al-Fatilah, donated ٥٠٠ liras and expressed his readiness to participate in the jihad

even though he was detained. The Ottoman government released him as an appreciation of his positions. Karbala The parents held a public meeting at the shrine of Imam Hussein (AS), where speeches were delivered enthusiastically, and then raised donations. On ١٢ October ١٩١١ (١٨ Shawwal ١٣٢٩ e), nearly two thousand people demonstrated in the city. The cities of Najaf and Samarra witnessed mass demonstrations in which speeches were delivered enthusiastically, and called on speakers to renounce

When the Russian armies .sectarian differences and unite efforts moved towards the northern regions of Iran, in late November ١٩١١ (early Dhu al-Hijjah ١٣٢٩ e). The Russian attack on Iran posed a new challenge to the Muslim world. It came a few weeks after the Italian occupation of Libyan territory. Therefore, the response of Shiite scholars was quick and strong. They declared their intention to defend Iran against the Russian occupation. Mr. Kazem al-Yazdi issued a statement in which he declared jihad. He spoke of the colonial campaign by Italy, Russia and Britain against the Islamic countries. He called on Muslims to confront colonialism and defend the two Iranian and Ottoman states. This fatwa reflects the interest of Shiite scholars in the issue of the political independence of the Islamic countries. Their precise diagnosis of colonial methods revealed the fragmentation of the social unity of the Muslims in order to drain their internal forces

The Shiite clerics' call for jihad .so as to facilitate their control revealed their conscious vision of the nature of the stage in which the Islamic countries lived. In the British invasion, they found part of the great colonial project begun several years earlier, aimed at controlling the Islamic country and dividing it into multiple spheres of influence among the colonial powers. If the fatwas of the Shiite scholars on the necessity of jihad were a surprise to the Ottoman government, their initiative in leading the Mujahideen Brigades to fight the British in the battle of Shuaiba, and the speed of Shiite response to this initiative, was a surprise for both the Turks and the English. Mujahideen It caused the death of Mr. Mohammed Said al-Haboubi as a defeat for the defeat of the English without the misjudgment and management of the Ottoman leadership of the war. The Turks' treatment of the Mujahideen forces and the efforts of Shiite clerics Difficult as war conditions. However, the surge of scientists was strong against British colonialism as a military challenge targeting Muslim countries. This position was the finest images of the positions of the religious authority in its struggle against colonialism of all kinds and trends